قراءة بيانية لـ خمسٍ من مقامات بديع الزمان الهمذاني

A Rhetorical Reading of Five Tombs of Badial al-Zaman al-Hamdhani,

د. محمد عبده الجحدبي*

* الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية –
كلية التربية والآداب والعلوم
جامعة إقليم سبأ

ملخص البحث:

هدف البحث إلى استكشاف واستجلاء ما في تلك المقامات المكانية من معانٍ ولطائف بيانية، وشرحها شرحًا ميسرًا.

أما من حيث المنهج، فهذا البحث قراءة تحليلية بيانية في ضوء مواضيع علم البيان.

ويسعى هذا البحث إلى: الكشف بأن كلمة "المقامة" تدل على مكان وقوع الحادثة التي يرويها بديع الزمان، وقد تدل على موضوع الحادثة كالمقامة الأسدية مثلاً، وأن المقامة – سواء دلت على هذا أو ذاك - عبارة عن قصة قصيرة.

وفي ثنايا البحث سيتضح أيضاً أن بديع الزمان قد تمتع بمقدرة أدبية، وصياغة نثرية، وثروة لغوية هائلة، جعلته يستحق الريادة في فن المقامات بلا منازع، وأن من قرأ هذه المقامات ومارس ذلك سيتكوّن لديه محصول لفظي وافر يمكنه من تلك المقدرة والصياغة الأدبية في حياته العلمية.

الكلمات المفتاحية: بديع الزمان الهمذاني، خمس مقامات مكانية، الشرح العام للمقامة، قراءة بيانية.

Research Summary:

which aims to explore and clarify the contents and graphical characteristics in these spatial settings, and to explain them easily.

In terms of methodology, this research is a Rhetorical analysis in the light of the subjects of the science of the statement.

This research will seek to reveal that the word "Maqama" indicates the location of the incident narrated by Badia al-Zaman, and may indicate the subject of the incident, such as the Assadiyah shrine, and that the Maqama, whether it is indicated by this or that , is a short story. In the course of the research, it will also be clear that Badia al-Zaman has enjoyed a literary ability, prose lye formulation, and a vast linguistic wealth that has made him worthy of leadership in the art of Maqams undisputedly, and that those who have read these shrines and practiced it will have a rich verbal harvest that will enable him to be able

ISSN : 2410-1818

to do so and to formulate a literary formulation in his scientific life.
Keywords: Badia al-Zaman al-Hamdhani, five spatial Maqamat, general commentary, Rhetorical reading

مقدمة:

نحن بحاجة ماسّة إلى الرجوع لأدبنا العربي القديم، والنظر فيه بنظرة بيانية، نستقي منه الألفاظ الغريبة، ونعيها في حياتنا، فنفهم المراد منها وننقلها إلى الآخرين، حتى تصبح مألوفة لدى الجميع، ويستأنسون بها عند الحديث بها، فنحيي بذلك لغتنا بألفاظها الجميلة، وتركيبها الساحر، وسلاستها العذبة.

إذ حينما ينظر الإنسان المتخصص – فضلاً عن العامي- ويقرأ في كلام الأدباء القدامى يجد صعوبة في تناولها، وتستغلق عليه أحياناً بعض الألفاظ، وبعض السياقات والجمل العويصة، فلا عجب فقد أصبحنا في عصرنا الحاضر غرباء عن لغتنا العربية، وبعيدين كل البعد عن دقائقها وفهمها وأسرارها، ففهم جملة واحدة أو لفظٍ معين تحتاج إلى أن ترجع لربما إلى أكثر من قاموس، تحاول أن تفهم ورودها في سياقٍ معين، أو إسنادٍ غريب عنك، أو كناية مخفية، أو تجوّزٍ لطيف دقيق، من أجل هذا لا بد أن يكون الإنسان متسلحاً بنظرٍ بياني بلاغيٍ عميق، واطلاعٍ واسعٍ في مختلف الألفاظ، ودقائق الأقوال، وصياغات الجمل، ودلالات التراكيب.

أهمية البحث:

لقد رغبت أن أكتب وأقرأ قراءة بيانية في مقامات بديع الزمان الهمذاني، ولا سيما تلك المقامات التي قيلت وتحدثتْ عن الأمكنة المعينة، إشارة من بديع الزمان إلى مكانة هذه الأمكنة وشرفها وأنه قد تنقّل فيها، وعاش فيها بجميع جوارحه، بل وشاركه قلمه فيضاً في الحديث عن هذه البلدان والأمصار، التي تنقّل وهاجر إليها، سواء لقصد التجارة، أو حدا به أرَبٌ أو مقصد، أو آواه المبيت إليها، وهذا يدل كل الدلالة على أن المقامات مرتبطة بشكل كبير بالأمكنة المعينة التي تحملُ في طياتها ذكريات جميلة، يترجمها الأديب بقول حسن، وصياغة جيدة، وتدبيج مذاب بزئبق القول، ورونق الجمال، وتتابع الكمال، وجزالة الألفاظ، وحسن السبك، واستساغة الكلام العذب.

وهذه الأماكن التي سنتحدث عنها هي مجموعة من المقامات كان يسميها باسمها، ممزوجة فيها ذاكرته، ومحفورة عليها مشاهداته، وأول مكان يصادفنا هو (بلخ)، في المقامة البلخية حيث قال عنها: "نهضت بي إلى بلخٍ تجارة البز"، والثانية هي بلدة سجستان التي قال عنها في مقامته: "حدا بي إلى سجستان أربٌ"، وثالثها الكوفة، حيث قال عن ذلك: "فلما أحلْتنا الكوفة مِلْنا إلى داره..."، وأذربيجان، التي قال عنها: "بلغت أذربيجان وقد حَفِيت الرواحلُ"، وجرجان: "بينا نحن بجرجان...".

ISSN : 2410-1818

أسباب اختيار الموضوع:

من **المبررات** والأسباب لاختيار بعض المقامات المكانية[1] ما يأتي:

أولاً-: لما للمقامات ارتباط وثيق بالأمكنة، التي تقال، والمناسبة التي ألجأت بديع الزمان القول فيها.

ثانياً-: لما تحمل الأماكن والأمصار من ذكرياتٍ جميلة، قلّ أن تصاغَ في دفاتر، تكون بمثابة محابر من نور تنير له ولقارئها درب الحياة، وحداء الأمل.

ثالثاً-: يذيع صيت الإنسان ويشتهر لموقفٍ يقفه، وموطن المعاناة في الاغتراب يربّي الإنسان على استجاشة المشاعر والأحاسيس، فتخرج صافية صادقة، مستشفة من صميم الأحداث والأماكن التي تبقى خالدة في الذهن.

الدراسات السابقة:

وجدتُ بحثاً بعنوان "**دراسة فنية بديعية لـ المقامة البغدادية في مقامات الهمذاني**"، لـ عبد السلام أمين الله أتوتليطو، المحاضر بجامعة الحكمة، الورن، نيجيريا، وقد اقتصر في كلامه عن المقامة البغدادية ومضمونها وأشخاصها، والدراسة الفنية البديعية لها، من خلال الحديث عن المحسنات اللفظية والمعنوية التي اشتملت عليه.

منهجية البحث:

بعد التعريف بالمقامات والترجمة للأديب والناثر بديع الزمان الهمذاني، تمّ التعريج على الألفاظ الغريبة لخمس من المقامات المكانية، وشرحها شرحاً عاماً، وحاولت بعد ذلك أن أقرأها بنظرة بيانية، حيث أستخرج الصور البيانية (تشبيه – مجاز – استعارة – كناية) من الجمل موضع الدراسة، والحكم –غالباً- عليها، وماهيتها البيانية في هذا السياق، ثم الشرح والتوضيح بشكل موجز ومختصر، معرّجاً على بعض الأسرار البلاغية واللطائف البيانية، والدقائق المجازية.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من ثلاثة مباحث، وخاتمة مذيلة بقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التعريف بالمقامات.

المبحث الثاني: ترجمة بديع الزمان الهمذاني.

المبحث الثالث: القراءة البيانية لـ خمسٍ من المقامات المكانية.

وسأعمل على توضيح هذه المباحث في ثنايا هذا البحث إن شاء الله تعالى.

---

[1] مع العلم أنني اقتصـــرت على بعض المقامات المكانية – اختصـــاراً- وإلا فالمقامات المكانية التي تعرّض لها بديع الزمان كثيرة –إن لم تكن كلها- فمنها: البصرية، والعراقية، والفزارية، والشيرازية... وغير ذلك.

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول

التعريف بالمقامات

تعريف المقامة:

المقامة في اللغة: اسم مكان من الفعل (قام)، أي: مكان القيام، ومنه قوله تعالى حكاية عن مقام إبراهيم: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ آل عمران: ٩٧ ، أي: "الذي قام عليه حين رفع القواعد من البيت... وفيه الصفا والمروة والحجر الأسود"[2].

ويقول الزبيدي: "القوم يجتمعون في المجلس"[3]، وقال غيره: الجماعة من الناس والمجلس والخطبة أو العظة أو نحوهما، وقصة قصيرة مسجوعة تشتمل على عظة أو ملحة كان الأدباء يظهرون فيها براعتهم[4].

والمقامة عند الأدباء والكتّاب هي: "فن أدبيّ يقوم عادةً على حكاية من حكايات الشطارة والاستجداء، ذات بطلٍ واحدٍ"[5]، وتنتهي بعِظَة أو مُلحة، وتشتمل على الأخبار الطريفة والألغاز المحبوكة، ولكل مقامةٍ راوٍ وبطل من ابتداع الكاتب، وهمَّة البطل مقصورة على تحصيل الرزق بأيسر السبل، من الكدية والحيلة بانتحال الشخصيات المختلفة، فهو يتنقّل من مكانٍ إلى مكان، ومن موقفٍ إلى آخر؛ مغيرًا هيئته في كل مرة، متخذًا الكدية وسيلة لكسب ما يقيم حياته، إلى أن تنتهي الحكاية بانكشاف حقيقة حاله، وافتضاح أساليب مكره وخداعه، التي يلجأ إليها لتحصيل مطعمه ومشربه، وهذا تماماً كما حصل لشخصية أبي الفتح الإسكندري التي تحدث عنها بديع الزمان في مقاماته، التي ستأتينا في هذه السطور[6].

ومن أجل هذا كان اختيار هذا البحث، الذي حاول الباحث فيه أن يجمع بعض المقامات المكانية، والتي تتحدث عن الأمكنة، التي قيلت فيها، وتنقّل بديع الزمان منها وإليها.

---

[2] صفوة التفاسير (1/ 199).

[3] تاج العروس من جواهر القاموس (33/ 310).

[4] المعجم الوسيط (2/ 768).

5 الأدب المقارن – جامعة المدينة (بكالوريوس) (ص: 333).

6 انظر معنى هذا: الأدب المقارن – جامعة المدينة (بكالوريوس) (ص: 333).

ISSN : 2410-1818

وأما الراوي للمقامة فهو رجل مُغرم بالأدب، لا همّ له إلا اقتناص مجالس الأدب، وتتبع البطل وأخباره، ومؤلف المقامات معنيّ بإظهار المقدرات اللغوية، وتخير الألفاظ الغريبة، والكلمات المنسوجة ببديع محكم، يتخللها الكثير من الصور البيانية الممزوجة بمعانٍ لطيفة.

مقامات بديع الزمان في سطور:

ظلت مقامات بديع الزمان الهمذاني الاثنتان والخمسون أنموذجًا يحتذيه كتّاب المقامات الذين جاءوا من بعده، وأول هؤلاء وأشهرهم الحريري الذي كتب مقاماته المشهورة واعترف بريادة بديع الزمان لهذا الفن، حتى قال مادحاً لها:" ذِكْرُ المَقاماتِ التي ابْتَدعَها بَديعُ الزّمانِ. وعلاّمَةُ همَذانَ. رحِمَهُ اللّهُ تعالى... إلى أنْ أُنْشئَ مَقاماتٍ أتْلو فيها تِلْوَ البَديعِ. وإنْ لمْ يُدْرِكِ الظّالِعُ شأوَ الضّليعِ – يقصد بديع الزمان -"[7].

ثم تبعه عدد كبير من الكتّاب القدامى والمُحدثين فكتبوا في هذا الفن، بل وأصبح كل من ألّف بعد ذلك عالة على بديع الزمان في نسجها وابتداعها، وطرائفها، وما احتوت من ثروة لغوية هائلة، ومحسنات بديعية وبيانية كثيرة، ومن أبرزهم: الزمخشري، وجلال الدين السيوطي من المشارقة، والسرقسطي من الأندلسيين، وكذلك ابن الصيقل الجزري صاحب كتاب: المقامات الزينية، وأما المحدثون فأهمهم اليازجي والمويلحي[8]... وغيرهم.

المبحث الثاني
ترجمة بديع الزمان الهمذاني

أولاً: اسمه ونسبه ومولده.

بديع الزمان (358 - 398 هـ = 969 - 1008 م)

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني، أحد أئمة الكتاب، وهو الحافظ المعروف ببديع الزمان؛ صاحب الرسائل الرائقة[9]، والمقامات الفائقة، وعلى منواله نسج الحريري مقاماته واحتذى

[7] مقامات الحريري (ص: 15).

[8] انظر: الموسوعة العربية العالمية (/ 1)، واليازجي هو صاحب كتاب: مجمع البحرين لليازجي – ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط.

[9] أو بمعنى: أنيقة كما في وفيات الأعيان.

ISSN : 2410-1818

حذوه واقتفى أثره، واعترف في خطبته بفضله، وأنه الذي أرشده إلى سلوك ذلك المنهج، وهو أحد الفضلاء الفصحاء.

ولد في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، الموافق 969م[10]، وهو عربي مضري تغلبي، وهو شديد التعصب للعرب على غيرهم، وولد في همَذَان إحدى مدن فارس الشمالية، وافتتحت سنة ثلاث وعشرين للهجرة، وهي بلدة واسعة جليلة القدر، كثيرة الأقاليم والكُوَر، ويشرب أهلها من عيون الأودية، قال عنها وعن برْدها ابن خالويه، وهو همذاني واستوطن حلب:

إذا همذانُ اعتادها القرُّ وانثنى برغمك أيلولٌ وأنت مقيمُ

فعينك عمشاء وأنفُك سائلٌ ووجهك مسوّدّ البياض بهيمُ

بلادٌ إذا ما الصيفُ أقبلَ جنّة ولكنها عند الشتاءِ جحيم[11]

وانتقل بعد ذلك بديع الزمان الهمذاني إلى هراة سنة 380هـ فسكنها، ثم ورد نيسابور سنة 382هـ، ولم تكن قد ذاعت شهرته حتى لقي أبا بكر الخوارزمي، فشجر بينهما ما دعاهما إلى المساجلة، فطار ذكر الهمذاني في الآفاق آنذاك.

ثانياً: أعماله الأدبية.

- له (مقامات بديع الزمان- ط) أخذ الحريري أسلوب مقاماته عنها، ويذكر أن أكثر (مقاماته) ارتجال، وأنه كان ربما يكتب الكتاب مبتدئاً بآخر سطوره، ثم هلم جرا إلى السطر الأول فيخرجه ولا عيب فيه!
- وله (ديوان شعر - ط) صغير، ومعظمه يدور على المحسنات اللفظية والمعنوية.
- و مجموعة (رسائل - ط) عدتها 233 رسالة، تدور حول أغراض شتى.

وقد درس بديع الزمان العربية والأدب، كان قوي الحافظة يضرب المثل بحفظه، وكان شاعراً وطبقته في الشعر دون طبقته في النثر.

وقد جمع كلامه بين متانة اللفظ، ورشاقة المعنى، وجمال العبارة، ودقة الخيال، وقد تصرف هذا الكاتب في فنون الترسُّل، وتفنّن في ضروب الرسائل.

وله شعر رقيق لم يبلغ من الجودة مبلغ النثر؛ لأن الجمع بين حسن النظم وحسن النثر قلّما يتفق لأحد.

---

[10] تاريخ الأدب العربي لـــ بروكلمان كارل، ج2، ط2 (1993م)- ترجمة: د. عبد الحليم النجار وآخرون، القاهرة: دار المعارف – مصر- ص 112.

[11] معجم الأدباء (3/ 1035).

ISSN : 2410-1818

أي: أن نثره طغى واشتهر به أكثر من شهرته بالشعر، محبراً في نثره أعماله الأدبية التي فيها الشيء الكثير من البديع والبيان والمعاني اللطيفة، وأنت حينما تقرأ كتابه في المقامات تجد بأنه لا يقل شأناً من أولئك الشعراء المخضرمين والجهابذة، فكلٌّ قد وهبه الله موهبة ينطق بها، وإبداع يجود به، ويصيغ الكلام بطريقته الخاصة، والمحتوية على الكثير من الصور البلاغية والمعاني النفيسة، التي تنبئ عن كنز من سحر البيان وجودته، الذي تمتع به هذا الناثر الأديب.

مختارات من كلامه:

مِن رسائله على سبيل المثال: " الماء إذا طال مكثه، ظهر خبثه، وإذا سكن متنه، تحرك نتنه. وكذلك الضيف يسمج لقاؤه، إذا طال ثواؤه، ويثقل ظله، إذا انتهى محله. والسلام "[12].

ومن رسائله: "حضرته التي هي كعبة المحتاج، لا كعبة الحجاج. ومَشعَر الكرم، لا مشعر الحرم. ومنى الضيف، لا منى الخيف. وقبلة الصلات، لا قبلة الصلاة "[13].

وله في التعزية: "الموت خطب قد عظم حتى هان، ومس قد خشن حتى لان. والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها، وجنت حتى صار أصغر ذنوبها. فلتنظر يمنة، هل ترى إلا محنة، ثم انظر يسرة هل ترى إلا حسرة"[14].

وما أجدره بقول نفسه في وصف زهير بن أبي سلمي: "يذيبُ الشعرَ والشعرُ يذيبه، ويدعو القول والسحر يجيبه"[15].

ما قيل عنه:

قال عنه الثعالبي في يتيمة الدهر عن حاله ووصفه ومحاسن نثره ونظمه: " هو أحمد بن الحسين بديع الزمان، ومعجزة همذان، ونادرة الفلك، وبكر عطارد، وفرد الدهر، وغرة العصر، ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة، وسرعة الخاطر، وشرف الطبع، وصفاء الذهن وقوة النفس، ومن لم يدرك قرينه في ظرف النثر وملحه، وغرر النظم ونكته، ولم يرو أن أحداً أبلغ مبلغه من لب الأدب وسره، وجاء بمثل إعجازه وسحره، فإنه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب، فمنها: أنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط، وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها، ويؤديها من أولها إلى آخرها، لا

---

[12] يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ)– المحقق: د. مفيد محمد قمحية – دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان – ط1 – 1403هـ1983م – (4/ 302).

[13] يتيمة الدهر (4/ 297).

[14] يتيمة الدهر (4/ 298).

[15] مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص: 12) من المقامة القريضية.

ISSN : 2410-1818

يخرم حرفاً، ولا يخل بمعنى، وينظر في الأربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة، ثم يهذها عن ظهر قلبه هذا ويسردها سردا، وهذه حاله في الكتب الواردة عليه وغيرها.
وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى بديع، وباب غريب فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها، وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه، فيبتدئ بآخر سطر منه، ثم هلم جرا إلى الأول، ويخرجه كأحسن شيءٍ وأملحه، ويوشح القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من إنشائه، فيقرأ من النظم والنثر، ويروي من النثر والنظم ويعطي القوافي الكثيرة، فيصل بها الأبيات الرشيقة، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف على ريق لا يبلعه، ونفس لا يقطعه"[16].

قلت: وعند النظر إلى مقاماته ورسائله ستجد الإبداع يتجلى، والمعاني تظهر، وسرعة البداهة، وفيض القلم، ولطائف القول، وجودة السبك، وحسن النظم، وحلاوة المنطق، وجزالة اللفظ، وبُعد الخيال، وجمال المعنى.

حتى لا تكاد تملّ من مقاماته ورسائله، بل وتستأنس بمجالستها، ومدارسة هذا الأدب الجم، والألفاظ المستوحاة من خالص اللغة وبطون القواميس، تستغلق عنك بعض معاني الألفاظ، فنظرة في القواميس، فإذا بأسرار القول ومعجزات اللفظ تتجلى لك كتجلي العذراء في خدرها، وظهور اللؤلؤ من مكنونه.

وما جرى بينه وبين أبي بكر الخوارزمي من شجارٍ كان سبباً لذيع صيته وشهرته وعلو أمره؛ إذ لم يستطع أحد في زمانهم أن يتصدى لمساجلة أبي بكر الخوارزمي حتى أتى بديع الزمان الهمذاني فتصدى له، وجرت بينهما مكاتبات ومناظرات ومناضلات، وأفرغ كل منهما ما في جعبته من الأدب وحسن القول، واستفرغ كل منهما جهده في ذلك حتى ذُكر الهمذاني في الآفاق وارتفع ذكره ومقداره عند الملوك والرؤساء، ودرّت له بعد ذلك أبواب الرزق، وعندما أجاب الخوارزمي داعي ربه خلا بعد ذلك الجو للهمذاني، وتصرفت به أحوال جميلة، وأسفار كثيرة، ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان بلدة إلا دخلها، وجنى وجبى ثمرتها واستفاد خيرها، ولم يبق أميراً ولا ملكاً ولا وزيراً ولا رئيساً إلا استمطر منه العطاء والنوال، ففاز بذلك وحصل على غرائب الأموال.

ثالثاً: وفاته.

كانت وفاته يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة، واختلف في وفاته فقيل مات مسموماً بمدينة هراة، رحمه الله تعالى، وقيل: مات بالسكتة، وعُجّل بدفنه فأفاق في قبره، وسُمع صوتُه بالليل، فنبشوا عليه، فوجدوه قد مات قابضاً على لحيته من هول القبر.

[16] يتيمة الدهر (4/ 293).

ISSN : 2410-1818

ثم وجدت في آخر رسائله التي جمعها الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن دوست ما مثاله: هذا آخر الرسائل.

وقال الثعالبي عن وفاته ما نصه:

"وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله فلباه، وقدم على آخرته، وفارق دنياه في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، فقالت عليه نوادب الأدب، وانثلم حد القلم، وفقدت عين الفضل قرتها، وجبهة الدهر غرتها، وبكاه الأفاضل مع الفضائل ورثاه الأكارم مع المكارم على أنه ما مات من لم يمت ذكره، ولقد خلّد من بقي على الأيام نظمه ونثره، والله يتولاه بعفوه وغفرانه، ويحييه بروحه وريحانه، وأنا كاتب من ظرف ملحه ولفظ غرره ما هو غذاء القلب، ونسيم العيش، وقوت النفس، ومادة الأنس"[17].[18]

المبحث الثالث

القراءة البيانية لـ خمسٍ من المقامات المكانية

المقامة البَلْخيّة:

حَدَّثَنَا عيسى بنُ هِشَامٍ قَالَ: نَهَضَتْ بِي إِلى بَلخَ تِجَارَةُ الْبَزِّ فورَدْتُهَا وَأَنَا بِعُذْرَةِ[19] الشَّبَابِ وبالِ الفَرَاغِ وحلْيَةِ التَّرْوَةِ[20]، لا يُهِمُّنِي إِلاَّ مُهْرَةُ[21] فِكْرٍ أَسْتَقِيدُهَا، أَوْ شَرُودٌ مِنَ الْكَلِمِ أَصِيدُهَا، فَمَا اسْتَأْذَنَ عَلَى سَمْعِي مَسَافَةُ مُقَامِي؟، أَفْصَحُ مِنْ كَلامِي، وَلَمَّا حَنَى الْفِراقُ بِنَا قَوْسَهُ أَو كَادَ دَخَلَ عَلَيَّ شَابٌّ فِي زَيِّ مِلءِ العَيْنِ، وَلْحَيَةٍ تَشُوكُ الأَخْدَعَيْنِ[22]، وَطَرفٍ قَد شَرِبَ مَاءَ الرَّافِدَيْنِ[23]، وَلَقِيَنِي مِنَ الْبرِّ فِي

---

[17] يتيمة الدهر (4/ 296).

[18] وما سبق من الترجمة نقلاً – وبتصرف– عن:

الأعلام للزركلي (1/ 115) – ومعجم الأدباء (1/ 234) – ووفيات الأعيان (1/ 127) – و يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر.

[19] العذرة: الناصية والخصلة من الشعر – المعجم الوسيط. (2/ 590).

[20] الحلية: ما يزين به من مصوغ المعادن النفيسة والأحجار الكريمة، انظر: معجم لغة الفقهاء– (ص: 185).

[21] المهرة: الأنثى من ولد الفرس، لسان العرب (5/ 184).

[22] الأخدعان: عرقان في صفحة العنق، لسان العرب (8/ 63).

[23] الرافدين: دجلة والفرات.

ISSN : 2410-1818

السَّناءِ، بِمَا زِدْتُهُ فِي التَّناءِ، ثُمَّ قَالَ: أَظَعْناً[24] تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: إِيْ وَاللّهِ، فَقَالَ: أَخْصَبَ رَائِدُكَ[25]، وَلاَ ضَلَّ قَائِدُكَ، فَمَتَى عَزَمْتَ؟ فَقُلْتُ: غَدَاةَ غَدٍ، فَقَالَ:

صَبَاحُ اللّهِ لا صُبْحُ انطِلاقٍ وَطَيرُ الوَصْلِ لا طَيْرُ الفِراقِ

فَأَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: الوَطَنَ، فَقَالَ: بُلِّغْتَ الوَطَنَ، وَقَضَيْتَ الوَطَرَ، فَمَتَى العَوْدُ؟ قُلْتُ: القَابِلَ[26]، فَقَالَ: طَوَيْتَ الرَّيْطَ[27]، وَثَنَيْتَ الْخَيْطَ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الكَرَمِ؟ فَقُلْتُ: بِحَيْثُ أَرَدْتَ، فَقَالَ: إِذَا أَرْجَعَكَ اللّهُ سَالِماً مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ، فَاسْتَصْحِبْ لي عَدُوّاً فِي بُرْدَةِ صَدِيقٍ، مِنْ نِجارِ الصُّفْرِ، يَدْعُو إِلى الكُفْرِ، وَيَرْقُصُ عَلَى الظُّفرِ، كَدَارَةِ العَيْنِ، يَحُطُّ ثِقَلَ الدَّيْنِ، وَيُنَافِقُ بِوَجْهَيْنِ.
قَالَ عِيسى بْنُ هِشَامٍ: فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَلْتَمِسُ دِيناراً، فَقُلْتُ: لَكَ ذلِك نَقْداً، وَمِثْلُهُ وَعْداً، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

رَأَيْكَ مِمَّـا خَطَبْتُ أَعْلَـى لا زِلْتَ لِلمَكْرُمَاتِ أَهْلا
صَلُبْتَ عُوداً، وَدُمْتَ جُوداً وَفُقْتَ فَرْعاً وَطِبْتَ أَصْلا
لا أَسْتَطِيعُ العَطَاءَ حَمْـلاً وَلا أُطِيقُ السُّؤَالَ ثِـقْلا
قَصُرْتُ عَنْ مُنْتَهَاكَ ظَنّـاً وَطُلْتَ عَمَّا ظَنَنْتُ فِعْلا
يا رُجْمَةَ الدَّهْرِ[28] والمَعَالي لا لَقِيَ الدَّهْرُ مِنْكَ ثُكْلا

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَام: فَنُلْتُهُ الدِّينَارَ، وَقُلتُ: أَينَ مَنْبِتُ هَذا الفَضْلِ؟ فَقَالَ: نَمَتْنِي قُرَيشٌ[29] وَمُهِّدَ لِيَ الشَّرفُ فِي بَطَائِحِهَا، فَقالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ: أَلَسْتَ بِأَبِي الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيِ؟ أَلَمْ أَرَكَ بِالْعِرَاقِ، تَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ، مُكَدِّياً بِالأَوْرَاقِ؟ فَأَنْشَأَ يَقُول:

---

[24] الظعن: أصل الظعينة الراحلة، ويقصد به هنا: أتريد السفر؟ لسان العرب (13/ 270).

[25] الرائد: من يرسله القوم أمامهم ليتخير لهم منزلاً من الأرض – المعجم الوسيط ـــ (1/ 381) – وتاج العروس (8/ 122) – وانظر كذلك: شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني – للشيخ محمد عبده.

[26] أي العام القادم.

[27] الريط: جمع ريطة، وهي الملاءة غير ذات لفقين، وقيل كل ثوب لين رقيق ريطة – تاج العروس (19/ 317) – ولسان العرب (7/ 307).

[28] الرجمة: بالضم ما يبنى تحت النخلة الكريمة لتعتمد عليه لضعفها – المخصص (4/ 190).

[29] أي: رفعتني قريش بانتسابي إليها.

ISSN : 2410-1818

إِنَّ للّهِ عَبِـيـــداً أَخَذُوا الْعُمْرَ خَلِيطاً
فَهُمُ يُمْسُونَ أَعْرَا باً ، وَيُضْحُونَ نَبِيطا[30]

المقامة البلخية:

هي نسبة إلى مدينة من مدن خراسان، وهي الآن من إيالات أفغانستان، واقعة في شمالي جبال هندكوش غربي بدخشان جنوبي نهر جيحون.

الشرح العام:

ذهبتُ للتجارة إلى مدينة اسمها بلخ وأنا في بداية شبابي، يوم أن كنت خالياً من هموم الحياة وفي سعة من المال، ولا يشغلني ويهمني آنذاك إلا طلب العلم، أو أتناول بالحفظ والكتابة الكثير من الجمل والكلمات المفيدة والغريبة، والتي فيها من اللطائف البلاغية ما فيها، فلم أسمع مدة إقامتي كلاماً أفصح من كلامي، ولما حان وقت العودة دخل عليّ شابٌّ ذو هيبة وهيئة حسنة ولحية تملأ الوجه، وعيناه تتألق صفاءً لكأنما قد سُقيا من ماء دجلة والفرات، واستقبلني هذا الشاب بشيءٍ من الإحسان والمرَاضاة، وأنا قابلته بالمثل وزدته في الثناء والمدح، ثم قال لي: أتريد السفر؟ فقلت: نعم أريد ذلك، فقال: صادفت الخير وتوفقتَ في الصحبة، وأخذ يدعو له بمصادفة الخير وعدم ضلاله عن طريق الحق والنجاة، بمعنى: صادفت الخير وصحبتك السلامة أينما ذهبت.

ثم قال: فمتى عزمتَ على ذلك؟ فقال: غداً في الصباح، فأنشده شعراً فيه من التفاؤل ما فيه، تفاؤل بإضافة الصباح إلى اللّه المنعم على الخلق بالخيرات، وتفاؤل آخر بطير الوصل الذي يتفاءل به بقرب من يحب، وليس طير الفراق الذي يتشاءم به ببعده عمّن يحب، وهذا كله من اعتقادات الجاهلية التي محاها الإسلام ثم بقيت في جيد الأشعار وشوارد الكلام؛ فقد كانوا إذا رأوا طيراً وزجروه، فنفر إلى اليمين وصاح تفاءلوا به، وإن نفر إلى اليسار تشاءموا من ذلك.

ثم قال: أين تريد؟ قلت: العودة إلى بلدي ووطني، وأخذ يدعو له بأن يبلغه اللّه الوطن ويقضي حاجته، ثم سأله: متى ستعود؟ فقال: العام القادم، وشرع يدعو له بأن يجعل اللّه لياليه هنية ويطويها ريطة بعد ريطة – وهي الثوب اللين الرقيق- وأن يطوي خيط الزمان من اليوم حتى يأتي العام المقبل.

ثم سأله عن منزلته من الكرم؟ فأجابه: بحيث أردت، أي: بأعلى منزلة منه، فقال: إذا رجعك اللّه سالماً من هذا الطريق فاصطحب لي بردة من الدنانير الصفر، التي ظاهرها يغرّ الناظر ويأخذ بالقلوب في حين أنها تضر الإنسان، حيث تدفع بالحرص عليها إلى أشد الكروب والمصائب، فهي فتنة كما

[30] النبيط: قوم من العجم، ينزلون بالبطائح بين العراقَيْنِ والجمع أَنْبَاطٌ، مختار الصحاح (ص: 688).

ISSN : 2410-1818

قال الله تعالى: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة)، والتي قد يحمل طالبها على الكفر بنعمة ربه، (ويرقص على الظفر)، فمن عادة نقّاد الدنانير أن يضعوه على ظفر إبهامهم ثم يضربوه بآخر لتظهر رنته، فلذا قال: (ويرقص)، أي: يهتز على الظفر، وهذا الدينار يشبه عين الشمس في الاستدارة، وبه يحط عن الإنسان كاهل الدّين، ومن أجله ينافق ويظهر خلاف ما يبطن ويمشي بوجهين، الوجه الأول ما يظهره، والآخر ما يبطنه.

يقول عيسى بن هشام: فعلمت أنه يريد ديناراً، فقلت: لك ذلك نقداً في الحال، ومثله وعداً آتي به فيما بعد، فأنشأ يقول شاكراً له ومادحاً:

رَأيُكَ مِمَّـا خَطَبْتُ أَعْلَـى لا زِلْتَ لِلمَكْرُمَاتِ أَهْلا

إذ قد دعاه للتفضل عليه بدينار واحد، فتفضل عليه باثنين، فحاله في الكرم فوق ما طلب.

صَلُبْتَ عُوداً، وَدُمْتَ جُوداً وَفُقْتَ فَرْعاً وَطِبْتَ أَصْلا

أي: زادك الله صلابة وقوة في جسدك، وأدامك كريماً على الخلق، ونمَتْ ذراريك عدداً وشرفاً، وكرمتَ شرفاً وأصلا.

لا أَسْتَطيعُ العَطَاءَ حَمْـلاً وَلا أُطيقُ السُّؤَالَ ثِقْلا

يريد أن يقول: أن كلا الأمرين حمل ثقيل، فالعطاء حمل من المنة لا يستطاع إقلاله، فهو صاحب فضل ومنة على الآخرين وهذا ليس بالقليل، وفي سؤال الناس ثقل وحمل من الذل لا يطاق احتماله.

قَصُرْتُ عَنْ مُنْتَهَاكَ ظَنّـاً وَطُلْتَ عَمَّا ظَنَنْتُ فِعْلا

أي: قصُر ظني عن غايتك في الكرم، وطال فعلك عما ظننت بك.

يا رُجْمَةَ الدَّهْرِ والمَعَالي لا لَقِيَ الدَّهْرُ مِنْكَ ثُكْلا

الرجمة: ما يبنى تحت النخلة لتعتمد عليه، فأنت كذلك يعتمد عليك الضعفاء من الناس، فأنت عماد الدهر وسنداً له، ولا جعلك الدهر تفقد حبيباً.

يقول عيسى بن هشام: فأعطيته الدينار، وسألته عن مولده من أين؟ فأنت صاحب فضل، فأجاب بأن قد رفعته قريش بانتسابه إليها، وأن له الشرف في انتسابه إلى ما اتسع من مسايل الماء بين جبالها.

فسأل بعض من حضر عن حقيقته: ألست بأبي الفتح الإسكندري؟ ألم أرَك في العراق تطوف في الأسوق، وتكتب أوراقاً تسأل الناس بها؟ فأجاب بشعره:

إنَّ للهِ عَبِيـدَاً أَخَذُوا الْعُمْرَ خَلِيطاً

أي: أن لله عباداً أخذوا عمرهم مخلوطاً من مختلفات الأطوار، فيتغيروا من حال إلى حال

ISSN : 2410-1818

فَهُمُ يُمْسُونَ أَعْرَا باً ، وَيُضْحُونَ نَبيطا

وكان ينبغي أن يكون البيت منهم يمسون أعراباً ويضحون نبيطاً[31].

القراءة البيانية:

(**نهضت بي إلى بلخَ تجارةُ البز**)، في إسناد النهوض إلى التجارة مجاز عقلي علاقته السببية؛ إذ التجارة هي سبب فقط في نهوضه إلى هذه البلدة، والحقيقة أنه هو من قام بالنهوض، والقرينة المانعة هو استحالة حصول النهوض من التجارة، وإنما مبالغة منه في مدى اهتمامه بالتجارة حتى لكأنها فاعلة النهوض.

(**فوردتُها وأنا بعذرة الشباب**)، الجملة من باب الكناية عن عنفوان الشباب وبدايته وأوج قوته؛ إذ يلزم من التلفظ بـ (عذرة الشباب) – وهي الناصية - الأمر الذي تقدم.

(**وأنا بعذرة الشباب... وحلية الثروة**)، (حلية الثروة) من إضافة المشبه إلى المشبه به، حيث شبه الثروة بالزينة والحلي، ووجه الشبه إكساب صاحبه البهاء والزينة، فهو تشبيه بليغ، غرضه تزيين المشبه.

(**لا يهمني إلا مُهرةُ فكرٍ أستقيدها**)، (مهرة فكرٍ) شبه الفكرة التي تخطر على البال بالمُهرة (الأنثى من ولد الفرس)، ووجه الشبه هو سهولة الانقياد، فهو تشبيه بليغ.

(**أو شرودٌ من الكَلِم أصيدها**)، (شرود من الكلم) يقصد به كلام الخاصة من الناس لنفاسته وعلو معناه، فشبه الكلام بالحيوان الشرود كثير النفرة، فهو كلام لا يحفظ في الأذهان إلا بصعوبة، فوجه الشبه هو النفرة، ولذا أكد هذا التشبيه البليغ بلفظ (أصيدها)، فهذه الجمل المفيدة والمعاني النفيسة كالحيوان الذي يحاول هو اصطياده، وكذلك الجمل يحاول كتابتها وحفظها.

(**فما استأذن على سمعي مسافةَ مُقامي أفصحُ من كلامي**)، شبه كلامه الفصيح بالإنسان الحي الذي من شأنه أن يستأذن على سمعه بالدخول، على سبيل الاستعارة المكنية، والجامع بينهما شدة التأثير والانخراق، بمعنى آخر: أنه لم يجد كلاماً أفصح من كلامه يؤثر على سمعه وقلبه (يستأذن بالدخول) مدة إقامته في بلخ، وتكمن بلاغة الاستعارة هنا في تجسيد الكلام وجعله بصورة إنسان حي محسوس من شأنه أن يستأذن ويتكلم ويتحرك.

[31] الشرح العام لكل المقامات مأخوذ بتصرف من كتاب: مقامات بديع الزمان الهمذاني – للشيخ محمد عبده، وإن كان شرح الشيخ مختصراً حتى يكاد أن يكون شرحاً للمفردات والتعرض لبعض الألفاظ الغريبة –أحياناً – بالتفصيل في ذلك.

ISSN : 2410-1818

(**ولما حنى الفراقُ بنا قوسه أو كاد**)، في إسناد الانحناء والانعطاف إلى الفراق مجاز عقلي علاقته السببية؛ إذ الفراق سبب في العودة والانعطاف، والقرينة المانعة استحالة وقوع الانحناء من الفراق على الحقيقة، وإنما مبالغة في تحقق ووقوع الفراق.

وممكن القول: شبه مجيء وقت الفراق للبلدة التي ذهب إليها (بلخ) والعودة إلى الوطن بانحناء القوس بجامع العودة إلى المكان الأصل، على سبيل الاستعارة التصريحية، ولفظ (**قوسه**)، ترشيح إذ هو من ملائمات المشبه به (حنى)، وهو تصوير حسن لطيف بمجيء وقت العودة.

(**دخل عليّ شابٌ في زيّ ملء العين**)، (ملء العين) كناية عن الهيبة وحسن المنظر الذي يعلو هذا الشاب.

(**وطرفٍ قد شرب ماءَ الرافدين**)، الطرْف: العين، والكلام كناية عن تألق العينين بالصفاء واللمعان، فكأنما سُقيا من نهري دجلة والفرات.

(**أخصبَ رائدُك**)، الرائد: من يرسله القوم أمامهم ليتخير لهم منزلاً من الأرض، وأخصب الرائد: وجد المكان خصباً، والكلام كناية عن الدعاء بمصادفة الخير والبركة حيث يذهب.

(**صباح الله لا صبح انطلاق وطير الوصل لا طير الفراق**)، في البيت كناية عن التفاؤل، وأخرى كناية عن التشاؤم، فـ (صباح اللّه – وطير الوصل) كناية عن التفاؤل؛ إذ إضافة الصبح إلى اللّه مما يتفاءل به؛ لأن اللّه مفيض الخيرات، بل هو الخير المطلق، وطير الوصل: مما يتفاءل به بقرب الحبيب، و(لا صبح انطلاق – ولا طير الفراق)، كناية عن التشاؤم – أو هو بالأصح تأكيد للتفاؤل بنفي التشاؤم- إذ صبح الانطلاق: هو الذهاب وبداية البعد، وطير الفراق: ما تشاءمت منه ببعده.

(**فأين تريد؟ قلت الوطن**)، من إطلاق الكل وإرادة الجزء، فهو مجاز مرسل علاقته الكلية، إذ يستحيل عليه أن يسكن الوطن كله، بل في داره الذي هو جزء من الوطن الذي قصده، والسر البلاغي في العدول عن الحقيقة إلى المجاز هو رغبة المتكلم في إظهار حبه وتعلقه لجميع الوطن الذي ينتمي إليه، بما في ذلك ديارها وأهلها وأشجارها وحجرها و...

(**طويتَ الريط**)، الريط: جمع ريطة، وهي الملاءة غير ذات لفقين، وقيل كل ثوب لين رقيق ريطة، والكلام فيه كناية عن سرعة انقضاء الليالي والأيام الهنيئة حتى يأتي العام القابل، والمراد طويت أيام البعد كما يطوى الثوب اللين الرقيق، وممكن القول بأنه استعار لفظ الريط لليالي والأيام الهنية، بجامع الرقة والهناء في كل.

(**وثنيتَ الخيط**)، شبه مرور الليالي والأيام وثنيها بثني الخيط، بأن يجعل طرفيه حيث الطرف الآخر، فكما أن طرف الخيط اليوم في بلخ فثنيه أن يكون الطرف الآخر فيه أيضاً، بجامع الدوران والمرور.

ISSN : 2410-1818

(**فأين أنت من الكرم؟ فقلتُ بحيث أردت**)، أي: أيّ منزلة من منازل الكرم أنت؟ و(بحيث أردتَ) كناية عن أعلى منزلة من الكرم؛ إذ السائل لا يريد إلا أن يكون المسؤول بحراً فياضاً معطاءً.

(**فاستصحب لي عدواً في بردة صديقٍ من نجار الصفر**)، البردة: الرداء، والنجار: الأصل، والصفر: الدنانير وأصلها الذهب، شبه الدنانير والدراهم بالعدو، بجامع الاغترار في كل، على سبيل الاستعارة التصريحية.

(**يدعو إلى الكفر، ويرقصُ على الظفر**)، كلاهما كناية عن الدنانير والدراهم، إذ هي تحمل صاحبها إلى الكفر بنعمة الله بتحصيلها من غير حلها، وهي أيضاً تظهر رنتها فيهتز على الظفر، واستعار لفظ الرقص للاهتزاز، بجامع الحركة والاضطراب، على سبيل الاستعارة المكنية؛ إذ شبه اهتزاز الدينار على الظفر بالإنسان الذي من شأنه أن يرقص.

(**كدارة العين**)، تشبيه للدنانير بدائرة عين الشمس أو عين الإنسان حقيقة، بجامع الاستدارة واللمعان في كل، فهو تشبيه مرسل مفصل غرضه تزيين المشبه وتجميله.

(**يحطُّ ثِقل الدين**)، صور الدَّين بشيء محمول له ثقل حسي، فهو يشعر به ويستثقله، بجامع الثقل في كل، على سبيل الاستعارة المكنية.

(**وينافق بوجهين**)، (وينافق)، النفاق: إظهار خلاف ما يبطن، كالمنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، وكذلك الدنانير تغرك في الظاهر لكن ربما تكون عدوة لك إن استعملتها في الحرام، والمثال على سبيل التشبيه التمثيلي (الدنانير الغرارة بالمنافق الذي يظهر خلاف ما يبطن)، ويمكن القول بأن الجملة فيها أيضاً كناية عن الدنانير؛ لأن على كل من وجهيه نقوشاً ليست على الآخر، فهو يشبه المنافق الذي يلقاك بوجه ويلقى عدوك بوجه آخر.

(**فعلمتُ أنه يلتمس ديناراً**)، استعار لفظ (يلتمس) لـ يسأل أو يطلب، بجامع أخذ الشيء والتمكّن منه، فهي استعارة تصريحية تبعية.

(**صُلبتَ عوداً ودمت جوداً وفُقتَ فرعاً وطبتَ أصلا**)

صلبت عوداً: فيه كناية عن القوة أي: يدعو له بذلك، و (فُقتَ فرعاً)، كناية عن نمو ذريته عدداً وشرفاً.

(**يا رجمة الدهر والمعالي**)، الرجمة: بالضم ما يبنى تحت النخلة الكريمة لتعتمد عليه لضعفها، وفيه كناية عن أن يجعله الله معتمد الناس في كل حال، كأنه قال: يا عماد الدهر.

ISSN : 2410-1818

(**لا لقي الدهرُ منك ثكلا**)، إسناد الإلقاء للدهر من باب المجاز العقلي الذي علاقته الزمانية، وثكلا: فقد الحبيب، حيث صور الدهر بأنه إنسان من شأنه أن يفقد الحبيب، على سبيل الاستعارة المكنية.

(**أين منبت هذا الفضل؟**)، شبه الكلام الذي سمعه منه بالشجرة الذي تنبت، فهذا الكلام هو ثمره، فجاء بالإنبات وهو لازم من لوازم المشبه به، فهو استعارة مكنية، وجملة السؤال كناية تبين مولد الشاب.

المقامة السجستانية

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: حَدا بي إلى سِجِسْتَانَ أَرَبٌ[32]، فَاقْتَعَدْتُ طِيَّتَهُ[33]، وَامْتَطَيْتُ[34] مَطِيَّتَهُ، وَاسْتَخَرْتُ اللّه فِي العَزْمِ جَعَلْتُهُ أَمَامِي، وَالْحَزْمِ جَعَلْتُهُ إِمَامِي حَتَّى هَدَانِي إِلَيْهَا، فَوَافَيْتُ دُرُوبَهَا[35] وَقَدْ وَافَتِ الشَّمْسُ غُرُوبَهَا، وَاتَّفَقَ المَبِيتُ حَيْثُ انْتَهَيْتُ، فَلَمَّا انْتُضِيَ نَصْلُ[36] الصَّبَاحِ، وَبَرَزَ جَيْشُ الْمِصْبَاحِ، مَضَيْتُ إِلى السُّوقِ أَخْتَارُ مَنْزِلاً، فَحِينَ انْتَهَيْتُ مِنْ دَائِرَةُ الْبَلَدِ إِلَى نُقْطَتِهَا، وَمِنْ قِلادَةِ السُّوقِ إِلى وَاسِطَتِهَا، خَرَقَ سَمْعِي صَوْتٌ لَهُ مِنْ كُلِّ عِرْقٍ مَعْنىً، فَانْتَحَيْتُ وَفْدَهُ[37] حَتَّى وَقَفْتُ عِنْدَهُ، فَإِذَا رَجُلٌ عَلى فَرَسِهِ، مُخْتَنِقٌ بِنَفسِهِ، قَدْ ولاَّنِي قَذَالَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفني فأَنا أُعَرِّفُهُ بِنَفْسي: أَنَا با كُورَةُ اليَمَنِ وَأُحْدُوثَةُ الزَّمَنِ أَنَا أُدْعِيَّةُ الرِّجالِ، وَأُحْجِيَّةُ رَبَّاتِ الحِجالِ، سَلُوا عنِّي البِلادَ وَحُصُونَها، وَالجِبالَ وَحُزُونَها، وَالأَوْدية وَبُطُونَها، وَالبِحارَ وَعُيُونَهَا، والخيلَ وَمُتُونَها، مَنِ الذَّي مَلَكَ أَسْوَارَها، وَعَرَفَ أَسْرَارَهَا، وَنَهَجَ سَمْتَها[38]، وَوَلَجَ حَرَّتَهَا؟ سَلُوا المُلوكَ وَخَزَائِنَها، وَالأَغْلاقَ وَمَعادِنَها، وَالأُمُورَ وَبَوَاطِنَها، وَالعُلُومَ وَمَوَاطِنها، وَالخُطُوبَ وَمَغالِقَهَا، وَالحُروبَ وَمَضَايِقَهَا، مَنِ الذَّي أَخَذَ مُخْتَزَنَها، وَلَمْ يُؤَدِّ ثَمَنَهَا؟ وَمَنِ الذَّي مَلَكَ مَفَاتِحَها، وَعَرَفَ مَصَالِحَها؟

---

[32] حدا بي: ساقني وبعثني – أرب: حاجة.

[33] اقتعد الدابة: ابتذلها بالركوب.

[34] امتطاها: ركب مطاها أي ظهرها.

[35] دروبها: أي أتى طرقها التي يدخل منها.

[36] انتضى سيفه: استله، نصله: سيفه. لسان العرب (11/ 665 – 662).

[37] انتحيت: قصدت، وفده: أن أفد عليه.

[38] نهج الأمر: أبانه وأوضحه، السمت الطريق، ونهجها هنا بمعنى مهّدها، الصحاح للجوهري (2/ 276).

ISSN : 2410-1818

أَنَا وَاللهِ فَعَلْتُ ذلِكَ، وَسَفَرْتُ بَيْن المُلُوكِ الصِّيدِ، وَكَشَفْتُ أَسْتَارَ الخُطُوبِ السُّودِ، أَنَا وَاللهِ شَهِدْتُ حَتّى مَصارِعَ العُشَّاقِ، وَمَرِضْتُ حَتَّى لِمَرَضِ الأَحْدَاقِ، وَهَصَرْتُ[39] الغُصُونَ النَّاعِماتِ، وَأَجْتَنَيْتُ وَرْدَ الْخُدُودِ الْمُوَرَّداتِ، وَنَفَرْتُ مَعَ ذَلِكَ عَنْ الدُّنْيَا نُفُورَ طَبْعِ الْكَرِيمِ عَنْ وُجُوهِ اللِّئَامِ، وَنَبَوتُ عَنْ الْمُخْزِيَاتِ نُبُوَ السَّمْعِ الشَّرِيفِ عَنْ شَنْيعِ الْكَلامِ وَالآنَ لَمَّا أَسْفَرَ صُبْحُ الْمَشِيبِ، وَعَلَتْنِي أُبَهةُ الْكِبَرِ، عَمَدْتُ لإِصْلاحِ أَمْرِ الْمَعَادِ، بِإِعْدَادِ الزَّادِ، فَلَمْ أَرَ طَرِيقاً أَهْدَى إِلى الرَّشَادِ مِمَّا أَنَا سَالِكُهُ، يَرَانِي أَحَدُكُمْ رَاكِبَ فَرَسٍ، نَاثِرَ هَوَسٍ، يَقُولُ: هذا أَبُو الْعَجَبِ، لاَ وَلَكِنِّيَ أَبُو الْعَجَائِبِ، عَايَنْتُهَا وَعَانَيْتُهَا، وَأُمُّ الْكَبَائِرِ قَايَسْتُهَا وَقَاسَيْتُهَا، وَأَخُو الأَغْلاَقِ: صَعْباً وَجَدْتُهَا، وَهَوْناً أَضَعْتُهَا، وَغَالِياً اشْتَرَيْتُهَا، وَرَخِيصاً ابْتَعْتُهَا، فَقَدْ واللهِ صَحِبْت لهَا الْمَوَاكِبَ، وَزَاحَمْتُ الْمَنَاكِبَ، وَرَعَيْتُ الْكَوَاكِبَ، وأَنْضَيْتُ الْمَرَاكِبَ[40]، دُفِعْتُ إِلى مَكَارِهَ نَذَرْتُ مَعَهَا أَلاَّ أَدَّخِرَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَنَافِعَهَا، وَلاَ بُدَّ لِي أَنْ أَخْلَعَ رِبْقَةَ هَذِهِ الأَمَانَة مِنْ عُنُقِي إِلَى أَعْنَاقِكُمْ، وَأَعْرِضَ دَوائِي هَذا فِي أَسْوَاقِكُمْ، فَلْيَشْتَرِ مِنِّي مَنْ لاَ يَتَقَزَّزُ مِنْ مَوْقِفِ الْعَبِيدِ، ولاَ يَأَنَفُ مِنْ كَلِمَةِ التَّوحِيدِ، وَلْيَصُنْهُ مَنْ أَنْجَبَتْ جُدُودُهُ، وَسَقَى بِالْمَاءِ الطَّاهِرِ عُوُدُهُ.

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَدُرْتُ إِلَى وَجْهِهِ لأَعْلَمَ عِلْمَه فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ، وَانْتَظَرْتُ إِجْفَالَ النَّعَامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ تَعَرَّضْتُ فَقُلْتُ: كَمْ يُحِلُّ دَوَاءَكَ هَذَا؟ فَقَالَ: يُحِلُّ الْكِيسُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكْتُهُ وَانْصَرَفْتُ.

المقامة السجستانية:

سجستان: من أقاليم بلاد فارس الشرقية، تنتهي من الغرب إلى مفاوز كرمان، ومن الشرق إلى حدود أفغانستان، ومن الشمال إلى أطراف هراة، ومن الجنوب إلى بلوجستان.

الشرح العام:

يقول: ساقني إلى بلد سجستان حاجة، فهو يبتذل دابته بالركوب ويلزم ظهرها قاصداً السير عليها، واستخرت الله في أن يلهمني هل أعزم على السفر أم لا؟ وجعلت الحزم بمثابة الإمام الذي يُقتدى به، فكان أن هداني الله إلى العزم والرحيل إليها، فأتى على مشارف تلك المدينة وأبوابها عند غروب الشمس، فبات على مشارفها حتى أتى أول بياض الصباح الذي يشبه لمعان نصل السيف المسلول، وبرزتْ

[39] هصر الغصن: ثناه وأخذ به، مختار الصحاح (ص: 705).

[40] انضى بعيره: إذا هزله وأضعفه، مختار الصحاح (ص: 688)

ISSN : 2410-1818

أشعة الشمس بضيائها ولمعانها، مضى إلى السوق يبحث عن منزلٍ يأويه، فحين توسط السوق كتوسط القلادة الثمينة بقية حلقاتها - إذ كانت الحوانيت مصطفة في العهد الأول تتوسطها طلاب الحاجات والباعة أشبه بالقلادة على العنق - عند ذلك وصل إلى سمعي صوتٌ وكلام حسن المعاني، فقصدت السير نحو ذلك الجمع المحتف به، فإذا برجلٍ يكاد يختنق بنَفَسِه من كلامه، وقد جعلني خلفه وهو يقول مادحاً نفسه:

مَن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي، أنا باكورة الثمرة وبدايتها، أنا من يتحدث عني كثير من الناس على مختلف الأزمنة، أنا حجّة الرجال فيما تنكشف به الحقائق، وإن لم تصدقوا ذلك فاسألوا الكثير من البلاد وحصونها، والجبال وهضباتها، والأودية، والبحار ومنابعها، والخيول وظهورها، من الذي ملك أسوارها وعرف أسرار وأبانها، ومهدها للسير عليها؟ ومن دخل الشعاب وبطون الأودية؟

سلوا الملوك وخزائنها وأغلاقها، وبواطن الأمور، وسلوا أماكن العلم، والشدائد الذي كنت دائماً أنا مفتاحها، والحروب وطريق المخرج من مضائقها.

بعد أن أقسم أنه فعل كل ذلك، عطف عليه بأسئلة تحمل المخاطب على الإقرار بذلك بأنه قد فعل وفعل: من الذي قد أخذ مخازن الملوك دون إعطاء ثمنها؟ ومن الذي ملك مفاتيح تلك المخازن؟ وعرف طرق الخلاص من الحروب؟

ثم يقول: أنا والله فعلت ذلك، وسعيت بالصلح بين الملوك، وكشفت الشدائد السود بالرأي السديد الساطع، وأنا شهدت وحضرت مصارع العشاق، ومرضت مرضاً شديداً حتى وصل إلى أحداق العيون، وقد أخذ وظفر بالنساء اللواتي يشبهن الغصون في النعومة واللين، وأجني الورود من خدودهن، ونفر عن وجوه اللئام، وترفّع بنفسه عن دنايا الأمور وقبيح الكلام.

ثم يقول: والآن بعد أن ظهر فيّ الشيب، واعتلاني الكبر عمدتُ إلى إصلاح حالي من التزود بزاد التقوى والأعمال الصالحة، إذ هو أفضل طريق يوصلني إلى سعادة الآخرة.

يراني أحدكم راكبَ فرسٍ، ويظنني مجنوناً عندما أنثر كلامي، ويقول هذا أبو العجب، لا، الأمر ليس كذلك، بل أنا أبو العجائب العظام، فقد شاهدتها وقاسيت معاناتها، وصاحبت أصعب الأغلاق، واشتريت أغلاها ثمناً، وابتعت أرخصها، فقد والله صحبتُ لها ومن أجلها الجماعة من الناس وزاحمت مناكبهم، وأكثرت من السير حتى هزلت وضعفت المراكب، ودُفعْتُ إلى مكاره الخطوب في الحروب، ولكني لم أستأثر بفوائدها لنفسي، بل أعطى من منافعها للمسلمين، ولا بد لي أن ألقي عليكم الأمانة حتى تبرأ ذمتي، ويقصد بها الفتح في كل شيء، وأعرض دوائي في سوقكم، فليشترِ

ISSN : 2410-1818

مني مَن لا يأنف منكم من الوقوف أمام العبيد، ولا يأنف من كلمة التوحيد، ولْيصُنِ الدواء هذا فأنا الذي أتيت به، وسقيت بالماء الطاهر عوده.

قال عيسى بن هشام: فدرت لأعلم وجهه، فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري، وانتظرت انفضاض الناس من حوله، ثم لقيته وسألته: كم يحلّ دواءك هذا؟ فقال: الكيس من المال أو ما شئت، فتركته وانصرفت.

القراءة البيانية:

(**حدا بي إلى سجتان أربٌ**)، في إسناد الحدا إلى الأرب مجاز عقلي علاقته السببية. وحدا بي بمعنى: ساقني وبعثني، فالأرب والحاجة سبب في الذهاب، وهو ينبئ بمدى أهمية الأرب والحاجة التي ساقته إلى سجستان، حتى كأنها الفاعل للذهاب..

(**فاقتعدت طيته**)، الطية: النية والمقصد. صور مقصد ذلك الأرب بصورة دابة لا ينزل عن ظهرها، فهو يركب عليها في سفره، على سبيل الاستعارة المكنية؛ إذ لم يصرح بلفظ المشبه به وإنما جاء بشيء من لوازمه وهو القعود في السفر، وهذا لا يكون إلا على المركوب.

(**واستخرت الله في العزم جعلته أمامي، والحزم جعلته إمامي**)، جعل كلا من العزم والحزم إماماً له، على صورة التشبيه البليغ، ووجه الشبه في كل منهما: الاقتداء بالإمام في أقواله وأفعاله وموافقته في الأحكام.

(**انتُضيَ نصلُ الصباح**)، صوّر ضوء الصباح بنصل السيف في الدقة والإضاءة، على سبيل الاستعارة التصريحية، إذ صرح بلفظ النصل.

(**وبرز جيش المصباح**)، المصباح كناية عن الشمس، وجيش: صوّر أشعة الشمس وضيائها بالجيش الذي يغزو في أول النهار في الانتشار والكثرة، على سبيل الاستعارة التصريحية.

(**ومن قلادة السوق إلى واسطتها**)، صوّر تلك الحوانيت في اصطفافها بالقلادة، ويتوسط هذه السوق أصحاب الحاجات والباعة، على سبيل الاستعارة التصريحية، والجامع بينهما الاصطفاف والترتيب في كل.

(**خرق سمعي صوت له من كل عرقٍ معنى**)، خرق سمعي: كناية عن شدة تمكن الصوت وتحقق إدراكه له.

(**مختنقٌ بنَفَسِه**)، كناية عن التعب والمشقة والإعياء، فهو يدافع أنفاسه حتى تكاد أن تخنقه.

ISSN : 2410-1818

(**أنا باكورة اليمن**)، شبه نفسه بأول الفاكهة وبدايتها، ووجه الشبه هو الفائدة وكثرة المنفعة.

(**وَأُحْدُوثَةُ الزَّمَنِ**) شبه نفسه أيضاً بمن تدور ألسنة الزمن عنهم ثناءً ومدحاً، كالفاتحين وأهل المجد والرفعة الذين يكثر الناس من الحديث عنهم إعجاباً بهم.

(**سلوا عني البلاد وحصونها، والجبال... والأودية... والبحار...، والخيل...**)، كل هذا من باب المجاز المرسل، حيث أطلق المحل (البلاد والحصون والجبال والأودية والبحار) وأراد الحالّ فيها، وهم أهلها الذين يسكنون فيها، والسر البلاغي في العدول عن الحقيقة إلى المجاز هو ذيوع صيته واشتهاره بين الناس إلى درجة أنه لو سئلت هذه الأماكن والجمادات والحيوانات لنطقت بها، وأجابت وتحدثت عنه بأنه مشهور لديها بالفصاحة والبيان والبلاغة.

(**سلوا... والأغلاق ومعادنها، والأمور... والخطوب... والحروب...**)، استعارة مكنية، حيث شبه المخازن والأغلاق بصورة إنسان من شأنه أنه يُسأل.

(**من الذي ملك مفاتحها**)، شبهت الأمور والخطوب بالمخازن التي لها مفاتح، على سبيل الاستعارة المكنية، والجامع بينهما التمكن في التملك في كل.

(**وكشفت أستار الخطوب السود**)، شبه الخطوب والشدائد بأنها أمور مخفية ومستورة، وهو الذي تمكن من كشفها وإظهارها، على سبيل الاستعارة المكنية؛ إذ لم يصرح بالمشبه به، وإنما جاء بشيء من لوازم ذلك وهي الأستار.

(**أنا والله شهدتُ حتى مصارع العشاق**)، استعار لفظ مصارع لـ التأثر والتخبط والهيام الذي يقع بين العشاق، على سبيل الاستعارة التصريحية؛ إذ الصرع حقيقة هو مرض الجسد والتشنج الذي يصيبه ويشل حركته.

(**ومرضت حتى لمرض الأحداق**)، مجاز مرسل، حيث أطلق الجزء (الأحداق وهو سواد العين) وأراد الكل (العين)، وقد آثر التعبير بأحداق العين؛ لأن المقام مقام تعميم المرض والخطوب جميع أجزاء بدنه، بما في ذلك أهم شيء فيه وهي أحداق العين.

(**وهصرت الغصون الناعمات**)، استعار لفظ (الغصون) للنساء في القامة والقد.

(**واجتنيت ورد الخدود الموردات**)، شبه الخدود بـ الورد في الجمال والحمرة، فهو تشبيه بليغ.

(**وَنَفَرْتُ مَعَ ذَلِكَ عَنْ الدُّنْيَا نُفُورَ طَبْعِ الْكَرِيمِ عَنْ وُجُوهِ اللِّئَامِ**)، يشبه نفوره عن الدنيا بنفور الرجل الكريم عن وجوه اللئام، ووجه الشبه هو شدة النفرة، فهو تشبيه بليغ.

ISSN : 2410-1818

(**وَنَبَوتُ عَنْ الْمُخْزِياتِ نُبُوَ السَّمْعِ الشَّرِيفِ عَنْ شَنْيعِ الْكَلَام**)، أيضاً يشبه نبوه وبعده عن الأفعال التي تجلب الخزي على فاعلها ببعد الشريف عن الكلام القبيح، ووجه الشبه هو شدة البعد على سبيل التشبيه البليغ.

(**أسفر صبح المشيب**)، تشبيه بليغ، من إضافة المشبه إلى المشبه به، شبه المشيب بالصبح في الضياء والبياض.

(**ناثر هوس**)، صور هوسه وخفة عقله بـ نثر النظم وتبديده، والجامع بينهما هو الخفة وسهولة التتابع للأمور الغريبة والنادرة، على سبيل الاستعارة المكنية.

(**أبو العجائب**) كناية عن أنه صاحب الأمور الغريبة والعجيبة، (أم الكبائر) كناية عن المصائب والشدائد العظيمة، وأيضاً شبه نفسه بها على صورة التشبيه البليغ.

(**أخو الأغلاق صعباً وجدتها**)، شبه هذه الأقفال والأغلاق بالإنسان الذي من شأنه أن له أخاً، والجامع بينهما الصحبة والملازمة لمفاتيحها، وأنه هو صاحبها دائماً، إذ بيده مفاتيح الأقفال والأغلاق الصعاب، وأيضاً شبه نفسه بالمفاتيح للأقفال والأغلاق، على صورة التشبيه البليغ.

(**وزاحمت المناكب**)، كناية عن مدافعة الموانع والشدائد للوصول إلى المطلوب.

(**رعيت الكواكب**)، استعار لفظ الرعي للحيوان للانتظار والمراقبة، والجامع بينهما الانتظار بقلق وتلهف واهتمام.

(**لا بد لي أن أخلع ربقة هذه الأمانة**)، استعار الخلع للطرح بشدة، على سبيل الاستعارة المكنية، فتصور رمي وطرح هذه الأمانة بشيء (خاتم أو ملبوس) من شأنه أن يخلع ويطرح بشدة، والجامع بينهما هو الطرح والإلقاء على سبيل التخلص من الشيء، وتحميله الآخرين.

(**وأعرض دوائي هذا في أسواقكم**)، شبه إخلاصه وعبوديته لله، وهذه المواعظ بالدواء، والجامع بينهما هو الشفاء من علة المرض، فكما أن الدواء يتعافى به المريض، كذلك مواعظي التي ألقيها في أسواقكم ستكون علاجاً وبلسماً لكم من الكفر والضلال والشقاء.

ISSN : 2410-1818

المقامة الكوفية

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ وَأَنَا فَتِيُّ السِّنِّ أَشُدُّ رَحْلِي لِكُلِّ عَمَايَةٍ[41]، وَأَرْكُضُ طِرْفَي[42] إِلَى كلِّ غِوَايَةٍ، حَتَّى شَرِبْتُ مِنَ العُمْرِ سَائِغَهُ، وَلَبِسْتُ مِنَ الدَّهْرِ سابِغَهُ، فَلَمَّا انْصَاحَ النَّهَارُ بِجَانِبِ لَيْلي، وَجَمَعْتُ للمَعَادِ ذَيْلي، وَطِئْتُ ظَهْرَ المَرُوضةِ[43]، لأداءِ المَفْرُوضَةِ، وَصَحِبَني فِي الطَّرِيقِ رَفِيقٌ لَمْ أُنْكِرْهُ مِنْ سُوءٍ، فَلَمَّا تجالَيْنا، وَخَبَّرْنا بحالَيْنا، سَفَرَتِ القِصَّةُ عَنْ أصْلٍ كُوفِيٍّ، وَمَذْهَبٍ صُوفِيٍّ، وَسِرْنا فَلَمَّا أَحَلَّتْنا الكُوفَةُ مِلْنا إِلى دَارِهِ، وَدَخلْنَاهَا وَقَدْ بَقَلَ وَجْهُ النَّهَارِ[44] وَاخْضَرَّ جَانِبُهُ وَلَّما اغْتَمَضَ جَفْنُ اللَّيْلِ وَطَرَّ شَارِبُهُ، قُرِعَ عَلَيْنا البابُ، فَقُلْنا: مَنِ القارِعُ المُنْتابُ[45]؟ فقالَ: وَفْدُ اللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ، وَفَلُّ الجُوعِ وَطَرِيدُهُ[46]، وَحُرُّ قَادَهُ الضُّرُّ، والزَّمَنُ المُرُّ، وَضَيْفٌ وَطْؤُهُ خَفِيفٌ، وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ، وَجَارٌ يَسْتَعْدِي عَلَى الجُوعِ، وَالجَيْبِ المَرْقُوعِ، وَغَرِيبٌ أَوقِدَتِ النَّارُ عَلى سَفَرِهِ، وَنَبَحَ العَوَّاءُ عَلَى أَثَرِهِ، وَنُبِذَتْ خَلْفَهُ الحُصَيَّاتُ، وَكُنِسَتْ بَعْدَهُ العَرَصاتُ، فَنِضْوُهُ طَلِيحٌ[47]، وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ[48]، وَمِنْ دُونِ فَرْخَيْهِ مَهَامِهُ فِيحٌ[49].

قَالَ عِيسى بْنُ هِشَامٍ: فَقَبَضْتُ مِنْ كِيسي قَبْضَةَ اللَّيْثِ، وَبَعَثْتُها إِلَيهِ وَقُلْتُ: زِدْنا سُؤَالاً، نَزِدْكَ نَوَالاً، فَقَالَ: ما عُرِضَ عَرْفُ العُودِ[50]، عَلى أَحَرَّ مِنْ نَارِ الجُودِ، وَلا لُقِيَ وَفْدُ البرِّ، بِأَحْسَنَ مِنْ بَرِيدِ الشُّكْرِ، وَمَنْ مَلَكَ الفَضْلَ فَلْيُؤَاسِ، فَلَنْ يَذْهَبَ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ، وَأَمَّا أَنْتَ فَحَقَّقَ اللهُ آمَالَكَ، وَجَعَلَ اليَدَ العُلْيا لَكَ.

---

[41] فتي السن: حديثها – عماية الصبح أي: في بقية ظلمة الليل، لسان العرب (15/ 95)، وأراد هنا ما تسوق إليه من اللذائذ والشهوات المائلة عن صراط الاعتدال.

[42] قال الاصمعي: الطِرف بالكسر: الكريم من الخيل، الصحاح للجوهري (5/ 79).

[43] المروضة: الناقة فهي الغالب التي تركب في السفر، وقد يراد بذلك الأرض لأنها مذللة لسكانها، أي ركب ظهر الأرض سفراً، انظر معناه في: لسان العرب (10/ 362).

[44] بقل: بمعنى ظهر، ينظر: تاج العروس (28/ 98).

[45] المنتاب: الزائر، تاج العروس (4/ 317)، انتاب القوم إذا أتاهم في نوبتهم.

[46] الفَلّ: القوم المنهزمون، المخصص . لابن سيده (2/ 50).

[47] النضو بالكسر: البعير المهزول. الصحاح للجوهري (7/ 361)، الطليح: التعب المعيي.

[48] الشدة وجهد المعيشة.

[49] المهامه: المفازة البعيدة، لسان العرب (13/ 541)، فيح: أي واسعة.

[50] نوالا: عطاءً – العود: طيب معروف.

ISSN : 2410-1818

قَالَ عِيسى بْنُ هِشامٍ: فَفَتَحْنا لَهُ البَابَ وَقُلْنا: ادْخُلْ، فَإِذا هُوَ وَاللّهِ شَيْخُنا أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ، فَقُلْتُ: يا أَبَا الفَتْح، شَدَّ مَا بَلَغتْ مِنْكَ الخصَاصَةُ. وَهذَا الزِّيِّ خَاصَّةٌ، فَتَبَسَّمَ وَأَنْشأَ يَقولُ:

لاَ يَغُرَّنَكَ الذِي ... أَنَا فيهِ مِنَ الطَّلَبْ
أَنَا فِي ثَرْوَةٍ تُشَ ... قُّ لَهَا بُرْدَةُ الطَّرَبْ
أَنَا لَوْ شِئْتُ لاَتَّخَذْ ... تُ سُقُوفاً مِنَ الذَهَبْ

المقامة الكوفية:

الكوفية: نسبة إلى الكوفة، وهي بلد بالعراق مشهور، تقع في محافظة النجف، وتبعد 170 كم جنوب بغداد، و10 كم شمال شرق النجف، وهي مدينة العراق الكبرى والمصر الأعظم، وأول مدينة اختطها المسلمون بالعراق.

الشرح العام:

يقول: كنت وأنا في وقت شبابي أحاول أقصد بلوغ هدفي، وإن عرضت في سبيلي المشاق، بل وأتسرع في طلب ما تسوّل لي نفسي ويزيّن لي هواي، ومرّ عليّ العمر في لذة مرور الماء العذب الحلقَ سلاسة وطيباً، ومرت عليّ أنواع من المآرب وصنوف الرغائب، وصوّر ذلك بالثوب الطويل الذي يستر جميع البدن، ولّما ظهر بياض الشيب في نهاية سواد الشباب ولمعان الشعر الأبيض في أطراف الأسود، استعدّيْتُ للمعاد بالقرب من الله، وركبت ظهر الناقة للسفر لأداء الحج، وصحبني في الطريق رفيق لم أرَ منه سوءاً يحملني على إنكاره، فلما كشف كل منّا لصاحبه عن حاله تبيّن أنه كوفيٌ الأصل، صوفيٌ المذهب، فلمّا نزلنا الكوفة تحوّلنا إلى داره ودخلناها، عند أفول الشمس وقت الغروب، ولّما اشتدّ ظلام الليل وظهر غسقه، قرع علينا قارع، فقلنا: من القارع المنتاب؟

فقال: وفد الليل المنهزم من الجوع والطريد، وهو رجل حر قادته الحاجة والزمن المرّ، وهو ضيف مفقوده الذي يطلبه رغيفٌ، فهو أسهل الناس مطلباً، وأخفهم على نفس المسؤول مسألة، وهو يستجير بك من الجوع، وهو غريب لا أمل له في الرجوع إلى وطنه لبعد ما بينه وبينه كأنما أوقدت النار بينهما، وينبح الكلب على أثره لأنه ليس من أهل الحيّ، حتى لقد انقطع أمل أهله من عودته، كأنما نبذوا الحصاة خلفه عند سفره، أو كنسوا العرصات تطهيراً للأرض من أثره، فإبله أصبحت هزيلة تكاد تشارف على الموت والهلاك.

قال عيسى بن هشام: فقبضت قبضة كبيرة من كيسي وأعطيته، وقلت له: زدنا سؤالاً نزدك عطاءً.

ISSN : 2410-1818

فقال: (ما عُرض عرف العود)، يريد أن الجود والإحسان يستثير الشكر من المحسن إليه كما تستثير النار دخان العود عندما تحرقه، وإذا أحسن إليك محسن فقد وصل إحسانه إليك، ولا تلاقيه وتستقبله بشيءٍ أحسن وأجمل من رسول الشكر تبعثه لاستقباله، ومن وجد عنده فضل مالٍ عن حاجته فلينفق ويحسن، فإن إحسانه لن يضيع عند الله حتى وإن ضيّعه الناس.

ثم شرع يخاطب عيسى ويدعو له بتحقيق آماله، وجعل يده هي العليا دائماً بالإنفاق والإحسان، قال عيسى: فعرفنا بعد ذلك أنه أبو الفتح الإسكندري، فقلت: يا أبا الفتح ما أشد ما بلغ بك الفقر والحاجة، وخاصّة هذا الزي الذي ترتديه، فأنشد يقول:

لا تغتر من حالي في الطلب، فأنا في ثروة وغنى يطرب لوجودها حتى يشق بردته، ولو شئت لاتخذت سقوفاً من ذهب.

القراءة البيانية:

(**أشد رحلي لكل عماية**)، أشد رحلي: كناية عن النهوض وقصد بلوغ إلى كل ما عنّ له من فاتنات اللذائذ.

(**وأركض طِرفي إلى كل غواية**)، طرفي: الكريم من الخيل، وغواية: يقصد ما تتوق إليه النفس، والجملة كلها كناية عن تسرعه في طلب ما تسوّل له نفسه ويزين له هواه.

(**حتى شربتُ من الدهر سائغه**)، صور ما مر عليه من العمر في لذته بالشراب الهنيء المستساغ الذي لا يغص شاربه، الجامع بينهما هو الصفاء والاستساغة في كل، على سبيل الاستعارة المكنية.

(**ولبستُ من الدهر سابغه**)، صوّر الدهر في اشتماله عليه بأنواع المآرب وصنوف الرغائب بالثياب السابغ الطويل، الذي لم يترك من البدن شيئاً إلا ستره، فحذف المشبه به وهو الثياب وجاء بشيء من لوازمه وهو اللباس، بجامع الانغماس واشتمال صنوف الملذات والرغائب، على سبيل الاستعارة المكنية.

(**انصاحَ النهارُ بجانب الليل**)، انصاح الفجر: ظهر ولمع، والجملة كناية عن ظهور بياض الشيب بين سواد الشعر.

(**وجمعت للمعاد ذيلي**)، جمع ذيله: ضمم إليه أطرافه، وهي كناية عن التهيؤ لملاقاة الموعود فيه، بالمضي في الأعمال الصالحة، وكبح شهوات النفس الجامحة.

(**بقل وجه النهار، واخضر جانبه**)، (اخضر جانبه) كناية عن مجيء الظلام بعد الغروب.

ISSN : 2410-1818

(**اغتمض جفن الليل وطرّ شاربه**)، شبه سواد الليل باغتماض العينين؛ لأنها إذا اغتمضت لم يبق للضياء سبيل أن ينفذ إليها، على سبيل الاستعارة المكنية، إذ ذكر ما يلازم المشبه به (الإغماض)، (وطر شاربه) شبه الليل بإنسانٍ له شارب بجامع طول المضي في كل، فكما أن غسق الليل لا يكون إلا بعد مضي وقت طويل ومدة عظيمة، كذلك طرور شارب الإنسان لا يكون إلا بعد مضي مدة من العمر[51].

(**وفَلُّ الجوع وطريدُه**)، الفَلُّ: المنهزم، صوّر الجوع بالعدو الذي يطلب الفتك به، وهو في عجز عن مقاومته، فهو منهزم يطلب النجاة وذاك يطرده، على سبيل الاستعارة المكنية، والجامع بينهما هو الضعف والانهزام في كل.

(**وحرٌّ قاده الضُرّ**)، إسناد القيادة إلى الضر من باب المجاز العقلي الذي علاقته السببية؛ إذ الضر والشدة في الحاجة سبب في الانقياد إلى من يزيلها ويفرجها، وهذا مبالغة منه في إظهار المأساة من أجل الاستعطاف والاستجداء.

(**وحرٌّ قاده الضُرّ والزمن المرُّ**)، وإسناد القيادة أيضاً إلى الزمن من باب المجاز العقلي الذي علاقته الزمانية، وفيه تصوير له بالمعاناة والشدة الذي لقيه وعاشه في ذلك الزمان، من باب المبالغة لما حصل له في ذلك الزمن.

(**وضيف وطؤه خفيف**)، كناية عن أنه ليس بسائل ملحاح، بل هو خفيف على سائله، ويكفيه منه ما يسد الرمق، ولن يثقله بكثرة ترداده وإلحاحه، لذا قال بعد ذلك: (وضالّته رغيف).

(**وجارٌ يستعدي الجوع**)، صور الجوع بظالمٍ والسائل يطلب دفع هذا الاعتداء عليه، على سبيل الاستعارة المكنية، والجامع بينهما هو الهلاك؛ إذ الهلاك متحقق في الجوع، وكذلك في الظالم المعتدي.

(**وجارٌ يستعدي الجوع، والجيب المرقوع**)، أيضاً صور الجيب المرقوع بأنه عدو وظالم، والسائل يطلب دفع هذ الظلم عنه، وعبّر بالجيب وأراد الثوب بأكمله الذي يقيه من سطوة البرد، من باب المجاز المرسل في إطلاق الجزء وأراد الثوب كله، والتعبير بالجيب عن الثوب لأهميته؛ إذ هو الذي يوضع ويحتفظ فيه المال.

(**وغريب أوقدت النار على سفره**)، كناية عن عدم رجوعه من سفره وانقطاعه عن أهله وموطنه، والمعنى: أنه غريب لا أمل له في الرجوع إلى وطنه لبعد ما بينه وبين بلده، كأنما أوقدت النار بينهما.

[51] انظر: مقامات بديع الزمان – شرح: الشيخ محمد عبده، ص31.

ISSN : 2410-1818

(**ونبحَ العوّاء على أثره**)، أيضاً هذا من ألطف الكنايات، فهي كناية عن أنه لا يعود إلى أهله وموطنه لبعد المسافة؛ فلذا الكلب ينبح ويصيح عليه لأنه مجهول عن البلد، والسر البلاغي في العدول عن التصريح إلى الكناية هو أن اللفظ اشتمل على دليل وبرهان على تنكُّر الكلاب عنه، وكأن النباح بمثابة دليل على بعده عن بلده.

(**ونُبذتْ خلفه الحُصيَّاتُ**)، كناية هنا عن انقطاع أمله أهله من عودته، إذ كان من العوائد إذا فارقهم من لا يحبون رجعته أن ينبذوا الحصا خلفه.

(**وكُنستْ بعده العرصاتُ**)، وهو كناية أيضاً عن انقطاع الأمل من عودته مثل سابقه، إذ كانوا إذا مات ميت كنسوا عرصات الدار بعده إلحاقاً لأثره به.

(**فنضوه طليح**)، شبه نفسه بالبعير المهزول المتعب، ووجه الشبه هو التعب والمشقة، من باب التشبيه البليغ.

(**ومن دون فرخيه مهامه فيح**)، فرخيه: كناية عن ولديه.

(**فقبضت من كيسي قبضة الليثِ وبعثتها إليه**)، (قبضة الليث): تشبيه بليغ، عندما شبه قبضته بقبضة الليث، والمراد أنه أعطاه مقداراً كبيراً من المال؛ إذ قبضة الليث من فريسته تكون عظيمة الحجم والمقدار، وهذا هو الغرض من التشبيه أي: بيان مقدار حال المشبه (القبضة). ونلاحظ في هذه المقامات أن بديع الزمان قد أكثر من التشبيه البليغ كثيراً؛ وهو يعدّ أقوى مراتب التشبيه، إذ المبالغة فيه مضاعفة؛ لما فيه من حذف الأداة ووجه الشبه، فحذف الأداة يفيد أن المشبه عين المشبه به ادعاءً، وحذف وجه الشبه يجعل النفس تذهب كل مذهب في تقدير الوجه، وفي صورته وتخيله في الذهن؛ لأن النفس تحب الشيء المخفي وتحب معرفته، فإذا ظهر بعد ذلك كان له وقع في النفس وتأثير مختلف.

(**ما عُرض عرفُ العود على أحرّ من نار الجودِ**)، تظهر رائحة العود إذا عرض على النار ليحترق فيفوح عرفه من دخانه، شبهت حال المتكلم في شكره وطيب أصله، وكذلك جود وإحسان المحسن عندما يستثير هذا الشكر منه، بحال العود (الطيب المشهور) عندما يُعرض على النار فيستثار منه الدخان الطيب الرائحة، على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة تفهم من خلال سياق الكلام، وهو استحالة إرادة المعنى الحقيقي.

(**ولا لُقيَ وفدُ البر، بأحسنَ من بريدِ الشكر**)، شُبِّه البر والإحسان بالوفد، ووجه الشبه الكرم والإحسان في كل، والذي بالمقابل يحسُن ويجمُل استقباله برسول الشكر، بجامع حسن الاستقبال، وكلا التشبيهين بليغ.

ISSN : 2410-1818

(**لن يذهب العرفُ بين الله والناس**)، إسناد الذهاب إلى العرف، أي: المعروف، مجاز عقلي؛ إذ المعروف سبب في شكر الناس أو كتابة الأجر والثواب من الله تعالى، وهذا مبالغة في أن العرف لن يذهب هدراً، وأن صنائع المعروف لن يضيعها الله وسيشكرها الناس بلا شك.

المقامة الأذربيجانية

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: لَمَّا نَطَّقَنِي الْغِنَى بِفَاضِلِ ذَيْلِهِ[52]، اتُّهِمتُ بِمَالٍ سلَبْتُهُ، أَو كَنْزٍ أَصَبْتُهُ، فَحَفَزَنِي اللَّيْلُ، وَسَرَتْ بِي الخَيْلُ، وَسَلكتُ فِي هَرَبِي مَسَالِكَ لَمْ يَرُضْهَا السَّيْرُ[53]، وَلاَ اهْتَدَتْ إِلَيْهَا الطَّيْرُ، حَتَّى طَوَيْتُ أَرْضَ الرُّعْبِ وَتَجاوَزْتُ حَدَّهُ، وَصِرْتُ إِلى حِمَى الأَمْنِ وَوَجَدْتُ بَرْدَهُ، وَبَلَغْتُ أَذْرَبِيجَانَ وقَدْ حَفِيَتِ الرَّوَاحِلُ، وأَكَلَتْهَا المَرَاحِلُ، وَلَمَّا بَلَغْتُهَا:

نَزَلْنَا عَلى أَنَّ المُقَامَ ثَلاثَةٌ فَطَابَتْ لَنَا حَتَّى أَقَمْنَا بها شَهْراً

فَبَيْنَا أَنا يَوْماً في بعْضِ أَسْوَاقِها إِذْ طَلَعَ رَجُلٌ بِرَكْوَةٍ قَدِ اعْتَضَدَهَا وَعَصاً قَدِ اعْتَمَدَها، وَدِنَّيَّةٍ قَدْ تَقَلَّسَهَا[54]، وَفُوطةٍ قدْ تَطَلَّسَهَا[55]، فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ[56] وَقَالَ: اللَّهُمَّ يا مُبْدِئَ الأَشْيَاءِ وَمُعِيدَهَا، وَمُحْيِيَ الْعِظَامِ وَمُبِيدَها، وَخَالِقَ الْمِصْباحِ وَمُدِيرَهُ، وفالِقَ الإِصْباحِ وَمُنِيرَهُ، وَمُوصِلَ الآلاءِ سابِغَةً إِلَيْنا، وَمُمْسِكَ السَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَيْنَا، وَبَارِئَ النَّسَمِ أَزْواجاً وَجَاعِلَ الشَّمْسِ سِرَاجاً، والسَّمَاءِ سَقْفاً والأَرْضِ فِرَاشاً، وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَناً وَالنَّهَارِ مَعَاشاً، ومُنْشِئَ السَّحَابِ ثِقَالاً، وَمُرْسِلَ الصَّواعِقِ نِكَالاً، وَعَالِمَ ما فَوْقَ النُّجُومِ وما تَحْتَ التُّخُومِ[57]، أَسْأَلُكَ الصَّلاةَ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٍ وآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وأَنْ تُعِينَنِي على الغُرْبَةِ أَثْنِي حَبْلَهَا، وَعلى العُسْرَةِ أَعْدُو ظِلَّها، وأَنْ تُسَهِّلَ لِي عَلى يَدَيْ مِنْ فَطَرَتْهُ الفِطْرَةُ، وَأَطْلَعَتْهُ الْطُّهْرَةُ، وَسَعِدَ بالدِّينِ الْمَتِينِ، وَلَمْ يَعْمَ عَنِ الحَقِّ الْمُبِينِ، رَاحِلَةً تَطْوِي هَذَا الطَّرِيقَ، وزَاداً يَسَعُنِي والرَّفِيقَ.

قَالَ عيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَنَاجَيْتُ نَفْسِي بِأَنَّ هذَا الرَّجُلَ أَفْصَحُ مِنْ إِسْكَنْدَرِيِّنَا أَبِي الفَتْحِ، وَالْتَفَتُّ لَفْتَةً

---

[52] نطّقه: ألبسه المنطقة وهي حزام عريض يشد به الوسط.

[53] لم يرضها: أي لم يذللها ويمهدها السير.

[54] دنية: قلنسوة كان يختص بها القاضي، انظر: تاج العروس (35/ 31).

[55] فوطة: نوع من الثياب، تطلسها: لبسها على هيئة الطيلسان.

[56] رفع عقيرته: هنا بمعنى صاح.

[57] التخوم: جمع تخم، وهي الحدود، أي ما تحت نهايات الأرض السفلى.

ISSN : 2410-1818

فَإِذَا هُوَ واللّهِ أَبُو الْفَتْحِ، فَقُلْتُ يَا أَبَا الفَتْحِ بَلَغَ هذِهِ الأَرْضَ كَيْدُكَ[58]، وانْتَهى إِلى هذَا الشِّعْبِ صَيْدُكَ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أنا جَوَّالةُ البِــلادِ وجَوَّابـةُ الأُفُقْ
أَنَا خُدْرُوَفةُ الزَّمانِ وَعَمَّارَةُ الطُّرُقْ
لاَ تَلُمْنِي لَكَ الرَّشَادُ عَلَى كُدْيَتي ودُقْ

المقامة الأذربيجانية:

نسبة إلى جمهورية أذربيجان الحالية، وهي واحدة من ست دول تركية مستقلة في منطقة القوقاز، تقع في مفترق الطرق بين أوروبا الشرقية وآسيا الغربية، ويحدها بحر قزوين إلى الشرق، وروسيا من الشمال، وجورجيا إلى الشمال الغربي، وأرمينيا إلى الغرب، وإيران في الجنوب.

الشرح العام:

يقول: لمّا ألبسه الله فضل الغنى اتهموه بمالٍ سلبه أو وقع على كنز، فحثه ذلك للهروب في الليل، والسير به ليلاً، بل وسلك أماكن لم يذللها ويمهدها السير، ولا اهتدى الطير إليها، حتى تجاوز أرض الخوف، وجاوز تخوم ممالك الظالمين، وصرت بعد ذلك في أمن ووجدت الراحة والاطمئنان.

بلغ أذربيجان وقد حفيت النوق التي امتطاها في سيره، بل وأهزلها التعب والمشقة من السفر، ولما نزل على أن يقيم بها ثلاثة أيام يستريح فيها، طابت له الناحية بما فيها من الراحة فأقام بها شهراً.

يقول: فبينما أنا يوماً في أحد أسواقها إذ طلع رجل برقعة صغيرة قد وضعها في عضده واتكأ عليها، ويلبس قلنسوة وإزار على هيئة الطيلسان، فرفع صوته وقال: اللهم يا مبدئ الأشياء ومعيدها، ومحيي العظام ومبيدها، وخالق الشمس ومديرها، وفالق الإصباح ومنيره، وموصل النعم شاملة إلينا، وممسك السماء أن تقع علينا، وخالق الأنفس الحية من ذكرٍ وأنثى، وجاعل الشمس سراجاً، والسماء سقفاً والأرض فراشاً، وجاعل الليل سكناً والنهار وقتاً للكسب والمعاش، ومنشئ السحاب ثقالا، ومرسل الصواعق هلاكاً وعقاباً، وعالم ما فوق النجوم، وما تحت الأرض السفلى، أسألك الصلاة على سيد المرسلين، وآله الطاهرين، وأن تعينني على الغربة، وعلى العسرة حتى يتجاوز ظلها... واستمر في دعائه.

ثم قال عيسى: فحدثت نفسي بأن هذا الرجل أفصح من أبي الفتح، فالتفت لفتة فإذا هو أبو الفتح، فقلت: هل بلغت حيلتك إلى هذه الأرض؟

[58] كيدك: الحيلة.

ISSN : 2410-1818

فأنشأ يقول:

أنا جَوَّالةُ البــلادِ وجَوَّابـةُ الأُفُقْ

أنا عادتي أجول في البلاد، وأقطعها.

أَنَا خُذْرُوَفةُ الزَّمانِ وَعَمَّارَةُ الطُّرُقْ

أي: أن الزمان يديره من مكانٍ إلى آخر كما يدير الصبي خذروفته وهو يعمر الطرق.

لاَ تلُمْنِي لَكَ الرِّشَادُ عَلَى كُدْيَتي وذُقْ

فلا تلمني على ذلك - هداك الله إلى الصواب - على سؤالي للناس واستجدائهم، فذق ذلك وستجد لذة الاسترزاق بلا تعب.

القراءة البيانية:

(**لمّا نطّقني الغنى بفاضلِ ذيله**)، شبه الغِنَى بالثوب الذي قد سبغ وغطى جميع الجسم، وفاض ذيله حتى عاد من ذلك الذيل الزائد منطقة يشد بها وسطه، مع بقاء الثوب سابغاً للبدن، فلم يصرح بلفظ المشبه به وهو الثوب، وإنما جيء بشيء من لوازمه وهو الإلباس والذيل، على سبيل الاستعارة المكنية، بل وأسند الإنطاق والإلباس إلى الغنى من باب المجاز العقلي الذي علاقته السببية؛ لأن الغنَى سبب لوجود الذيل الزائد والنعمة الزائدة.

(**فحفزني الليل**)، إسناد الحفز والحث إلى الليل من باب المجاز العقلي الذي علاقته الزمانية، فالليل هو زمان للهرب يستره عن أعين طالبيه، ويفيد هذا التجوّز المبالغة في الحث والتحفز للطلب المقصود.

(**وسلكت في هربي مسالك لم يرضها السير**)، كناية عن أن هذه الأرض مجهولة لم يطرقها إنسان، وعن أنها وعرة المسلك لم يسلكها أحد من قبل.

(**حتى طويتُ أرضَ الرعب**)، شبه الأرض بالبساط الذي من شأنه أن يطوى ويلف حتى يبلغ نهايته، وهكذا الأرض التي تقطع فيها المسافة يعبر عنها بالطي واللف تجاوزاً، على سبيل الاستعارة المكنية.

(**وصرتُ إلى حمى الأمن، ووجدت بَرْده**)، (برده) تشبيه، حيث شبه حِمَى الأمنِ وعدم الخوف والفزع ببرودة القلب، ووجه الشبه هو الطمأنينة وعدم الخوف، على سبيل التشبيه البليغ.

ISSN : 2410-1818

(**وقد حفِيت الرواحلُ، وأكلتها المراحل**)، حفيت أخفاف الرواحل، كناية عن شدة المشقة والتعب الذي حلّ بها من كثرة المشي، و(أكلتها)، مجاز في شدة الإجهاد والتعب، إلى درجة أن هذه المسافات والمراحل توهنُ وتضعف جسدها عن طريق إذابة الشحم وتعرق الجسد، بمعنى أنه: شبه الضعف والوهن الذي يصيب الرواحل من جراء التعب والمشي وقطع المسافات (المراحل) بأكل الأجساد على سبيل الاستعارة التصريحية.

(**فرفع عقيرته**)، قال الجوهري قيل لكل من رفع صوته عقيرة ولم يقيد بالغناء، قال: والعقيرة الساق المقطوعة[59]، وقولهم: رفع فلان عقيرته، أي صوته. وأصله أن رجلاً قُطعت إحدى رجليه، فرفعها ووضعها على الأخرى وصرخ[60]، إذاً رفع العقيرة كناية عن صفة رفع الصوت والصياح.

(**وجاعل الليل سكنا والنهار معاشا**)، مجاز عقلي، إسناد السكن إلى الليل، والإعاشة إلى النهار من باب المجاز العقلي الذي علاقته الزمانية؛ إذ الليل يستحيل أن يكون ساكناً، وإنما مسكوناً فيه، ويستحيل أيضاً أن يكون النهار مَعَاشاً، وإنما مُعَاشاً فيه، وهذا التجوّز يفيد المبالغة في تمام النعمة من الله، التي هي السكون في الليل، والمعاش في النهار.

(**وأن تعينني على الغربة أثني حبلها**)، تصوّر الغربة بدابّة خبيثة حملته فشردت به، فيسأل أن يعينه عليها بثني حبلها والإمساك بزمامها، وثنيه وعطفه إلى ناحية الوطن فيتخلص من الغربة ومرارتها وتعبها، على سبيل الاستعارة المكنية؛ إذ لم يصرح بالمشبه به، وإنما جاء بشيء من لوازمه وهو ثني الحبل.

(**وعلى العسرة أعدو ظلها**)، يتصوّر أيضاً الغربة بشخص له ظل، فيسأل الله أن يعينه على تجاوز ذلك الظل ومفارقة تلك العسرة.

(**راحلة تطوي هذا الطريق**)، شبه الطريق بالحبل، فكلما قطع منه مسافة فكأنه طوى منه جزءًا، بجامع الطول والمشقة من جراء ذلك، على سبيل الاستعارة المكنية.

---

[59] لسان العرب (4/ 591).

[60] الصحاح للجوهري (3/ 318).

ISSN : 2410-1818

المقامة الجرجانية:

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ بِجُرجَانَ، فِي مَجْمَعٍ لَنَا نَتَحَدَّثُ وما فينا إِلاَّ مِنَّا، إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا رَجُلٌ لَيْسَ بالطَّوِيلِ المُتَمَدِّدِ، ولا الْقصيرِ المُتَرَدِّدِ، كَثُّ العُثْنُونِ[61]، يَتْلُوهُ صِغَارٌ فِي أَطْمارٍ[62]، فافْتَتَحَ الْكَلامَ بالسَّلامِ، وَتَحِيَّةِ الإِسْلامِ، فَوَلاَّنا جميلاً، وأَوْلَيْناهُ جَزيلاً، فَقَالَ: يا قَوْمُ إِنِّي امْرؤٌ مِنْ أَهْلِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، مِنَ النُّغُورِ الأَمَوِيَّةِ نَمَتْنِي سُلَيْمٌ ورَحَّبَتْ بِي عَبْسٌ جُبْتُ الآفاق، وتَقَصَّيْتُ العِرَاقَ، وَجُلْتُ الْبَدْوَ وَالْحَضَرَ، ودَارَيْ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ، ما هُنْتُ، حَيْثُ كُنْتُ، فَلا يُزْرِيَنَّ[63] بِي عِنْدكُمْ ما تَرَوْنَهُ مِن سَمَلي وأَطْماري، فَلَقَدْ كُنَّا وَاللّهِ مِنْ أَهْلِ ثَمٍّ وَرَمٍّ[64]، نُرْغِي لَدَى الصَّباحِ ونُثْغِي عِنْدَ الرَّواحِ[65].

وفِينَا مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهُم وأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُها القَوْلُ والفِعْلُ.

عَلَى مُكْثِرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ وَعِنْدَ المُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ والبَذْلُ

ثُمَّ إِنَّ الدَّهْرَ يا قَوْمُ قَلَبَ لِي مِنْ بَيْنِهِمْ ظَهْرَ الْمِجَنِّ، فاعْتَضْتُ بِالنَّوْمِ السَّهَر، وبالإِقامَةِ السَّفَرَ، تَتَرَامى بِي المَرَامي، وتَتَهَادَى بِي المَوَامِي، وَقَلَعَتْنِي حَوَادِثُ الزَّمَنِ قَلْعَ الصَّمْغَةِ، فَأُصْبِحُ وأُمْسِي أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ[66] وأَعْرَى مِنْ صَفْحَةِ الْوَلِيدِ[67]، وأَصْبَحْتُ فَارِغَ الفِناءِ، صَفِرَ الإِنَاءِ، مالِي إِلَّا كَآبَةُ الأَسْفارِ، ومُعَاقَرَةُ[68] السِّفَارِ، أُعَانِي الفَقْرَ، وأُمَانِي الْقَفْرَ، فِراشِي الْمَدَرُ، وَوِسَادِي الحَجَرُ.

بِآمدَ مَرَّةً وَبِرأْسِ عَيْنٍ وأَحْيَاناً بِمَيّا فَارِقِينَا

لَيْلَةً بِالشَّآمِ ثُمَّتَ بِالأَهْوَازِ رَحْلِي وَلَيلَةً بِالْعِرَاقِ

فَما زَالَتِ النَّوَى تَطْرَحُ بِي كُلَّ مَطْرَحٍ، حَتَّى وَطِئْتُ بِلادَ الحَجَرِ وَأَحَلَّتِنِي بَلَدَ هَمَذَانَ، فَقَبِلَنِي أَحْيَاؤُهَا، وَأَشْرَأَبَّ إِلَيَّ أَحِبَّاؤُهَا، وَلَكِنِّي مِلْتُ لإِعْظَمِهِمْ جَفْنَةً، وَأَزْهَرِهِمْ جَفْوَةً:

---

[61] كثّ العثنون: كثيف اللحية.

[62] أطمار: جمع طمر، وهي الثياب البالية.

[63] أزرى به: وضع من قدره.

[64] الثمّ: إصلاح الشيء وإحكامه، يقال منه: ثَمَمْتُ أَثُمّ ثَمًّا. والرَّمُّ من المطعم يقال: رَمَمْتُ أَرُمُّ رَمًّا، ومنه سميت مِرَمَّةُ الشَّاة لأنها تأكل بها. غريب الحديث - (4/ 404) – بمعنى أن: الثم من الإصلاح، والرمّ من الأكل، الصحاح للجوهري– (6/ 214)..

[65] نرغي: قد يكون من أرغى الرجل إذا أعطى الراغية، وهي الإبل، نثغي: نعطي الثاغية وهي الغنم، يقول الزبيدي: "يقال: أتيته ف (ما أثغى ولا أرغى)، أي: (لم يعط شاة ولا ناقة)"، تاج العروس (38/ 170).

[66] الراحة: باطن الكف.

[67] صفحة الوليد: وجه الولد لأول ولادته يكون نقياً من الشعر.

[68] المعاقرة: الملازمة.

ISSN : 2410-1818

لهُ نَارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ إِذَا النِّيرانُ أُلْبِسَتِ الْقِنَاعَا

فَوَطِّأْ لِي مَضْجَعاً، وَمَهِّدْ لِي مَهْجَعاً، فَإِنْ وَنَى لِيَ وَنْيةً هَبَّ لِيَ ابْنٌ كَأَنَّهُ سَيْفٌ يَمَانٍ، أَوْ هِلَالٌ بَدَا فِي غَيْرِ قَتَمانٍ[69]، وَأَوْلاني نِعَماً ضَاقَ عَنْهَا قَدْرِي، وَاتَّسَعَ بِهَا صَدْرِي، أَوَّ لُهَا فَرْشُ الدَّارِ، وَآخِرُهَا أَلْفُ دِينَارٍ، فَمَا طَيَّرَتْنِي إِلاَّ النِّعَمُ حَيْثُ تَوَالَتْ، وَالدِّيَمُ لَمَّا انْثَالَتْ[70]، فَطَلَعْتُ مِنْ هَمَذَانَ طُلُوعَ الشَّارِدِ، وَنَفَرْتُ نِفَارَ الْآبِدِ، أَفْرِي الْمَسَالِكَ، وَأَقْتَفِرُ الْمَهَالِكَ، وَأَعَانِي الْمَمَالِكَ، عَلَى أَنِّيَ خَلَّفْتُ أُمَّ مَتْوَايَ وَزُغْلُولاً[71] لِي.

كَأَنَّهُ دُمْلُجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهٌ فِي مَلْعَبٍ مِنْ عَذَارَى الحَيِّ مَفْصُومُ[72]

وَقَدْ هَبَّتْ بِي إِلَيْكُمْ رِيحُ الاِحْتِيَاجِ، وَنَسِيمُ الإِلْفَاجِ، فَانْظُرُوا رَحِمَكُمُ اللهُ لِنِقْضٍ مِنَ الأَنْقَاضِ مَهْزُولٍ، هَدَتْهُ الحَاجَةُ، وَكَدَّتْهُ الْفَاقَةُ:

أَخَا سَفَرٍ، جَوَّابَ أَرْضٍ، تَقَاذَفَتْ بِهِ فَلَوَاتٌ: فَهْوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ
جَعَلَ اللهُ لِلخَيْرِ عَلَيْكُمْ دَلِيلاً، وَلاَ جَعَلَ لِلشَّرِّ إِلَيْكُمْ سَبِيلاً.

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَرَقَّتْ وَاللهِ لَهُ الْقُلُوبُ، وَاغْرَوْرَقَتْ لِلُطْفِ كَلاَمِهِ العُيُونُ، وَنُلْنَاهُ مَا تَاحَ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ، وأَعْرَضَ عَنَّا حَامِداً لَنا، فَتَبِعْتُهُ، فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْح الإِسْكَنْدَرِيُّ.

المقامة الجرجانية:

نسبة إلى جرجان: وهي إحدى المدن الشهيرة في إيران، تقع في شمالي إيران حالياً.

الشرح العام:

يقول عيسى: بينما نحن في بلد بجرجان في مجمعٍ لنا ولا غريب بيننا، إذ وقف رجل ليس بطويل ولا بقصير، كثيف اللحية، يعلوه ثياب بالية، فافتتح الكلام بالسلام، ثم قال: يا قوم إني امرؤ من أهل الإسكندرية، رفعَتْ مجدي سُلَيْمٌ ورُبيْت في قبيلة عبس، قطعت الآفاق، ومررت بالعراق من أقصاه إلى

---

[69] قتمان: اغبرار.

[70] الديم: جمع ديمة وهي المطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق، انظر: لسان العرب (12/ 212)، انثالت: أي انصبت.

[71] "الزغلول: الطفل، والجمع الزغاليل"، تاج العروس (29/ 126).

[72] الدُملج: حلي من فضة تلبسه النساء في معصمها، مفصوم: يقال سوار مفصوم أي: فيه كسر في غير بينونه. انظر معناه: لسان العرب (2/ 276)، و(12/ 453).

ISSN : 2410-1818

أقصاه، وتجولت في البدو ومساكن المدينة، ومنزلي قبيلتي ربيعة ومضر، ما ذلّيتُ حيثما كنت، فلا ينقصن قدري عندكم ما يظهر من لباسي، فلقد كنا والله أهل فضل وشأن، نعطي الإبل صباحاً، والغنم مساءً كرماً منا.

وجعل يقول شعراً: بأنه كان لدي رجال لهم مقامات ومفاخر ومجتمع للقوم يتشاورون فيه، أي أن مجالسهم يأتي إليها الكثير من الناس فيقومون بالرأي والمشورة والإعانة و... فمن يغشاهم لطلب معروفهم لا يكتفون من إكرامه إلا بغناه عن استجداء غيرهم.

ثم شرع بعد ذلك يشرح بأنه تبدّل حاله وانقلب عليه الدهر وتغير، واستبدل النوم بالسهر، والإقامة بالسفر، تتقاذف به الصحاري في مراميها، وقلعته الحوادث عن النعم، كما تفصل الصمغة عن شجرتها، فيصبح ويمسي فقيراً معدماً خالي اليدين، كخلو راحة اليد ووجه المولود من الشعر، وأصبح شديد الفاقة، ليس له مال إلا ما تجلبه الأسفار من رزق، أفترش المدر، وأتوسد الحجر.

بآمدَ مَرَّةً وَبِرأْسِ عَيْنٍ وأَحْيَاناً بِمَيّا فَارِقِينَا

لَيْلَةً بِالشَّآمِ ثُمَّتَ بِالأهْوَازِ رَحْلِي وَلَيلَةً بِالْعِرَاقِ

أتنقل من بلد إلى بلد، فليلة بالشام مع رحلي، وأخرى بالعراق، وما زالت النوايا تقذف بي وترمي بي كل مهوى، حتى أتيت بلاد همذان، فتقبّلني قومها، وأقبل إليّ أحبتي فيها، ولكني انصرفت إلى أكثرهم إطعاماً وأبعدهم عن الجفوة والغلظة، توقد نيرانه على أعالي الأرض ليهتدي الناس إليها لالتماس الكرم منه، فإذا به يكرمني أيما إكرام، فيعدّان لي مكاناً للاضطجاع وآخر للنوم، فإن احتجت لأدنى شيء أسرع لخدمتي غلام جميل المنظر وحسن الوجه، يشبه السيف أو الهلال في اللمعان والإضاءة، وغمرني بالنعم فوق ما أتصور، أول ذلك فرش المنزل وآخرها ألف دينار، وأحرجني بكثرة عطائه وفضله.

ثم قال: فخرجت بعد ذلك من همذان شارداً أقطع الصحاري وأعاني المشقة والتعب، فقد خلّفت ورائي زوجة لي وولداً صغيراً جميلاً في خَلْقِه وطلعته.

فساقني إليكم احتياجي، وهدتني الفاقة، فأنا مرافق للسفر، أقطع الأرض، تتقاذف بي الصحاري أشعث أغبر.

فقال عيسى بن هشام: فرقّتْ له القلوب واغرورقت لحسن كلامه العيون، وأعطيناه مما تيسر لنا، فأنصرف فتبعته فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري.

ISSN : 2410-1818

القراءة البيانية:

(**فلقد كنا والله من أهل ثمّ ورمّ**)، الثمّ: من الإصلاح، والرمّ من الأكل، كما مر في الهامش.

إذن ثمّ: كناية عن أنهم كانوا من المكانة بحيث يمكنهم أن يصلحوا غيرهم فضلاً عن إصلاح أنفسهم، ورم: أيضاً كناية عن أنهم كانوا يأكلون ويطعمون غيرهم الطعام.

و(**نرغي عند الصباح، ونثغي عند الرواح**)، قد يكون من حمل الإبل على الرغاء إذ هو صوتها، والشاء على الثغاء فهو صوتها، ولاسيما عند جرها إلى الذبح والنحر، وهذا كله كناية عن أنه قد بلغ من كرم هؤلاء القوم أن يعطوا الإبل صباحاً، والغنم مساءً - سواء بذبحها أو حلبها - كرماً منهم للضيوف القادمين والغرباء، بل وأسند (نرغي ونثغي) إلى نفسه وقبيلته أو عشيرته على سبيل المجاز العقلي؛ إذ هم السبب في إرغاء الإبل وثغاء الشاء، والإسناد فيه مبالغة لطيفة للكرم الذي يقومون به تجاه ضيفهم، وكأنهم هم من يقومون بذلك بدلاً عن الحيوانات.

(**وأندية ينتابها القول والفعل**)، كناية عن أن لهم القول الفصل والفعل في مجالسهم وأنديتهم، وأنهم أصحاب رأي ومشورة، بل وحكم أيضاً على الآخرين.

(**ثم إن الدهر يا قوم قلب لي من بينهم ظهر المجن**)، إسناد قلب ظهر المجن إلى الدهر من باب المجاز العقلي الذي علاقته الزمانية، إذ يستحيل على الدهر أن يصنع ذلك، وإنما هو زمن في ذلك، (قلب لي من بينهم ظهر المجن)، صورة رائعة حيث شبه التنكر والغدر الذي حلّ به بـ قلب ظهر الترس، كمن مع صاحبه على مودة أو رعاية ثم حال عن ذلك، وانقلب إلى الغدر والتنكر، على سبيل الاستعارة المكنية التبعية.

(**ترامى بي المرامي**)، المرامي: جمع مرمى، شبه الأحداث التي تحصل في هذا الزمن بالترامي والتقاذف، فهي تتقاذفه وتتجاذبه، تارة ترميه في مرمى فينجو منها، وتارة ترميه فتصيب به الهدف.

(**وتتهادى بي الموامي**)، الموامي: جمع موماة، وهي الفلاة، حيث شبه الصحراء بالإنسان الذي من شأنه أن يتهادى الشيء بين يديه، فهذه الصحاري تعطيه وتقدمه إلى فلاة أخرى، على سبيل الاستعارة المكنية.

(**قلعتني حوادث الزمن قلع الصمغة**)، في إسناد القلع إلى الحوادث مجاز عقلي علاقته السببية؛ لأن الحوادث والمصائب في الزمن تكون سبباً في ذلك، و(قلعتني) أي: فصلته حوادث الزمن عن ملتحم النعم والانغماس في الثراء، كما تفصل الصمغة من شجرتها، فلا يبقى لها أثر، على سبيل التشبيه البليغ.

ISSN : 2410-1818

(**فأصبح وأمسي أنقى من الراحة، وأعرى من صفحة الوليد**)، شبه افتقاره بنقاوة باطن الكف من الشعر، وبصفاء وجه الوليد، بجامع عدم وجود الشيء اليسير من الأثر في كل، على سبيل الاستعارة التصريحية، وهي استعارة لطيفة جسّد فيها الافتقار وعدم وجود المال بشيء محسوس وملموس.

(**وأصبحت فارغ الفناء، صفر الإناء**)، الفناء: الساحة، كناية عن خلوها من المال، وكذلك (صفر الإناء)، كناية عن شدة الفاقة والافتقار.

(**معاقرة السِّفار**)، السفار: جلدة توضع عند أنف البعير ليقاد به، أي أنه مصاحب لها دائماً، فهي كناية عن استمرار أسفاره.

(**فراشي المدر، ووسادي الحجر**)، كناية عن الافتقار وشدة الفاقة؛ إذ يلزم من افتراشه المدر واتخاذه الحجر وسادة الافتقار والحاجة، وما هذا إلا بمثابة دليل على ذلك أو برهان.

(**فما زالت النوى تطرح بي...**)، إسناد تطرح أو ترمي به إلى النوايا فيه مجاز عقلي علاقته السببية، إذ النية هي سبب في سفره وبعده عن الأوطان.

(**حتى وطئتُ بلاد الحجر**)، صوّر النوى أو النوايا في صورة دابة لم يزل مقتعداً لها حتى داست بلاد الحجر، ولعله يريد بلاد الجبل التي توجد همذان في وسطها، على سبيل الاستعارة المكنية.

(**ولكني ملتُ لأعظمهم جفنة**)، كناية عمن هو أكثرهم للناس إطعاماً.

(**فإن ونيَ لي ونية هبّ لي ابن كأنه سيف يمان، أو هلال بدا في غير قتمان**)، وني ونية: فترت همته فترة، هبّ: أسرع، والمشبه هنا هو (الولد) والمشبه به هو (سيف يمان - هلال)، ووجه الشبه هو في مضائه وسرعة نفاذه لقضاء حاجات نزيله، وشدة الاحتياج إليه، تشبيه (مرسل مجمل)، والغرض من التشبيه تزيين المشبه وتجميله.

(**وأولاني نِعَماً ضاق عنها قدْري**)، أولاني: ملّكني، استعار لفظ الضيق لـ انحطاط منزلته وقدره، فقدره ومنزلته لا تستحق هذا الكرم والعطاء.

(**واتّسع بها صدري**) كناية عن انشراح الصدر والفرح بهذا الكرم والعطاء.

(**أولها فرش الدار**)، عبر بجميع الدار والمقصود فرش بعضها مما يمكن فرشه، فهو مجاز مرسل علاقته الكلية، حيث أطلق الكل وأراد الجزء، مبالغة في كثرة النعمة التي يحصل عليها حتى يكاد يفرش الدار كل موضع فيه.

ISSN : 2410-1818

(**فما طيّرتني إلا النعم حيث توالت**)، استعار لفظ (طيرتني) للترك، بجامع التخلص من ذلك الحياء والخجل الذي وقع فيه، على سبيل الاستعارة التصريحية، والمعنى: ما جعلني أترك ذلك النعيم إلا الحياء من تتابع الكرامة وترادف النعمة.

(**فما طيّرتني إلا النعم حيث توالت، والديم لما انثالت**)، في إسناد التطير والنفرة إلى توالي النعم مجاز عقلي علاقته السببية؛ إذ ذلك سبب فقط في نفرته من تكاثر تلك النعم.

وشبه الكرم والنعم بـ الديم، جمع دِيْمة، وهي المطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق، تشبيه بليغ.

(**فطلعتُ من همذان طلوع الشارد، ونفرت نفار الآبد**)، (طلوع الشارد – نفار الآبد) كل ذلك صورة من باب التشبيه البليغ، وهو أن يقع المشبه به مصدراً مبيناً للنوع، فالمشبه به في الأول نوع ذلك الطلوع والخروج، وفي الثاني هو نوع ذلك النفار، أي: هروب البعير الشارد إذا شرد، ونفرته إذا نَفَرَ، وهذا هو الغرض من التشبيه أي: بيان حال المشبه.

(**على أني خلّفتُ أم مثواي وزعلولاً لي**)، (أم مثواي وزعلولاً لي) كناية عن زوجته وولده، والمثوى: الإقامة، وكنى بأم مثواه عن زوجه لأنها هي التي من شأنها أن تحمل الرجل على البقاء بداره، فصورها بالنسبة إليه بمثابة الأم التي لا غنى عنها، وفي شدة الاحتياج إليها، على سبيل الاستعارة التصريحية.

(**كأنه دملج من فضة نبه في ملعب من عذارى الحيّ مفصومِ**)

شبه ولده هنا بـ (دملج)، وهو الحلي الذي يلبس في معصم النساء، ووجه الشبه هو اعتدال الخَلْق وحسنه، والنبه: النفيس، مفصوم: مكسور من غير انفصال أو بينونة، يريد أن هذا الطفل الذي تركته يشبه في جماله وحسنه الدملج النفيس المتخذ من الفضة، ولكنه لتغيبي عنه، وعدم قيامي عليه أصبح مصدع القلب مكسور الفؤاد، والبيت لذي الرمة يصف ظبياً قد انحنى في نومه، فشبهه بهذا الدملج المفصوم، فهو تشبيه تمثيلي جميل، حيث وجه الشبه منتزع من متعدد، وهو وجود شيء جميل نفيس مصدّع ومكسور فهو محتاج إلى غيره.

(**وقد هبت بي إليكم ريحُ الاحتياج**)، (ريح الاحتياج)، من التشبيه البليغ، الذي هو من إضافة المشبه به إلى المشبه، فشبه الاحتياج والفاقة بالريح في السرعة.

(**لنقض من الأنقاض مهزول، هدَته الحاجة، وكدّته الفاقة**)، (هدته الحاجة) مجاز عقلي في إسناد الهداية إلى الحاجة، في حين إنما هي سبب للميل والدلالة، (وكدته الفاقة)، كذلك في إسناد الكد إلى الفاقة والفقر مجاز عقلي علاقته السببية؛ إذ الفقر والفاقة سبب في التعب والكدّ، وكل ذلك مبالغة في شدة الاحتياج والفاقة.

ISSN : 2410-1818

(**أخا سفرٍ**)، صوّر السفر بأنه أخ له، في شدة وكثرة الملازمة له، من باب الاستعارة التصريحية.

(**تقاذفتْ به فلواتٌ**)، أسند القذف إلى الفلوات أي: الصحاري، مجاز عقلي، علاقته المكانية، وفي هذا الإسناد تخييل مثير؛ إذ فيه مبالغة في قوة التقاذف والتقلب الحاصل له في الفلوات، وأيضاً ممكن القول بأنه شبه نفسه في التنقل بين الصحاري بالشيء المقذوف، الذي يُقذف به من صحراء إلى صحراء أخرى، ومن بلدة إلى بلدة أخرى، إشارة إلى ملازمته للسفر، وشدة انجذابه نحو ذلك، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة:

الحمد لله أولاً وآخراً على إكمال البحث، وأود هنا أن أتكلم عن بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال التعريج على مقامات بديع الزمان الهمذاني.

وأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث ما يلي:

1- أن كلمة (المقامة) تدلّ على مكان وقوع الحادثة التي يرويها بديع الزمان الهمذاني، بمعنى أن لها ارتباط وثيق بالمكان، كالمقامة البلخية أو السجستانية أو البغدادية... وقد تدلّ على موضوع الحادثة كالمقامة الأسدية والدينارية... وهي – سواءً دلّت على هذا أو ذاك- عبارة عن قصة قصيرة.

2- أن مقامات بديع الزمان قد نسبت إلى الأماكن التي رحل إليها - وهذا هو الغالب على ذلك - وقد تنسب إلى الزمن الذي أنشأ فيه بعض المقامة أو إلى موضوع المقامة نفسه، أو إلى راويها.

3- من خلال قراءة المقامات تدرك أن بديع الزمان قد تمتّع بمقدرة أدبية، وصياغة نثرية، وثروة لغوية هائلة، مكّنته من مزاحمة فحول الشعراء والكتّاب، بل هو رائد فن المقامة بلا منازع.

4- كما أن في المقامات الكثير من المعاني البديعية - ولا سيما السجع منها- كذلك تحتوي على الكثير من المعاني البيانية من تشبيه، ومجاز، واستعارة، وكناية...

5- سيجد القارئ المتعة والفائدة في اللطائف البيانية لمقامات بديع الزمان.

6- ستتكوّن للقارئ والباحث ثروة لغوية هائلة، وألفاظ غريبة وجديدة، ومحصول لفظي وافر، يمكّنه من الصياغة النثرية والمقدرة الأدبية في مسيرته العلمية.

7- ممارسة مثل هذه القراءة ستتكوّن لدى القارئ والكاتب المقدرة على تحليل النصوص تحليلاً بيانياً أدبياً عميقاً.

ISSN : 2410-1818

المصادر والمراجع

1. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ)- المحقق: د. مفيد محمد قمحية - دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان – ط1- 1403هـ1983م.
2. الأعلام ـ خير الدين بن محمود بن محمد، الزركلي الدمشقي - (المتوفى: 1396هـ) - دار العلم للملايين – ط15 - أيار/ مايو 2002م .
3. معجم الأدباء ـ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ) - المحقق: إحسان عباس - دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط1- 1414هـ - 1993م.
4. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ) - المحقق: إحسان عباس - دار صادر – بيروت.
5. المعجم الوسيط ـ إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة.
6. تاج العروس من جواهر القاموس - محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي - تحقيق مجموعة من المحققين - دار الهداية.
7. مقامات بديع الزمان الهمذاني لـ: أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني المتوفى سنة (398هـ) – قدم لها وشرح غوامضها: الشيخ محمد عبده – دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان.
8. لسان العرب – محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) - دار صادر – بيروت – ط3 - 1414هـ.
9. المخصص – أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده - دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1417هـ 1996م – ط 1 - تحقيق: خليل إبراهيم جفال.
10. الصحاح – إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ) - دار العلم للملايين - بيروت. ط 4- يناير 1990م.
11. غريب الحديث لأبي عبيد ابن سلام. ط – القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان ،دار الكتاب العربي – بيروت – ط1، 1396هـ -.
12. صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني - دار الصابوني– القاهرة – ط1، 1417 هـ - 1997 م.
13. مقامات الحريري، تحقيق: يوسف بقاعي - دار الكتب اللبناني - ط1 - بيروت – 1981م .

ISSN : 2410-1818

14. الموسوعة العربية العالمية - أول وأضخم عمل من نوعه وحجمه ومنهجه في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية، عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International . شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية.

15. مجمع البحرين لليازجي - لـ: ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط، الشهير باليازجي، نصراني الديانة (المتوفى: 1287هـ) - المطبعة الأدبية، بيروت – ط4، 1302 هـ - 1885م.

16. معجم لغة الفقهاء - مصدر الكتاب: موقع يعسوب.

17. مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر - مكتبة لبنان – بيروت - 1415- 1995م .

18. الأدب المقارن - جامعة المدينة (بكالوريوس) - كود المادة: LARB4143 - المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية.

19. بروكلمان كارل، (1993م)- تاريخ الأدب العربي ج2، ط2- ترجمة: د. عبد الحليم النجار وآخرون، القاهرة: دار المعارف – مصر.